قصة

روبرت بك

معربة

بقلم الفقير نجيب شقره

طبعة في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٥

obeikandl.com

فاتحة الكتاب

حمدًا لك يا من جعلت سير المتقدمين عبرة للمتاخرين وتذكرة للمتذكرين
اما بعد فهذه رواية عربتها عن اللغة الفرنساوية وهي بديعة الشكل
غريبة المنوال لم ينسج يراع التعريب مثلها فقد جمعت من الحكم
والمواعظ والاداب والعشق والغرام والامانة ما قل تحصيله
وكثر تحصيله وقد لازمت فيها مذهب التلخيص
والاختصار علمًا مني بان خير الكلام ما قل
ودلّ وهي كثيرة الفائدة لاهل الشرع
ومستخدمي المجالس والافوكاتية لانها
حوت من المشارعة جانبًا
مهمًا مفيدًا فنوول من
الناقدين صفحًا عن
الزلل لان العصمة
لله وحده

م

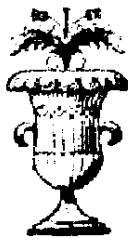

الفصل الاول

قال الراوي

هبَّت في باريس ريح السموم فاشتد الحر وضاقت على الناس واسعات المذاهب وفرغت من كنانهم نبال الحيل والصبر حتى تخيل لهم انهم في اواسط افريقيا او في خط الاستواء ولبثت هذه الحرارة تنهك الاجساد وتجور على الانفس الى ان اتى الليل بخيله ورجله فلم تمر الساعة التاسعة حتى انقلبت الريح من الشمال الى الغرب وغص الهواء بالغبار واوراق الاشجار المتساقطة مصحوبة بنقط من الماء الحار وانذرت دلائل الجو وعلامات الفلك بويل عاصفة مهولة

وكانت محطة (شوازي لي روا) مكشوفة من جهة الغرب معزولة في عالم الوحدة ليس بها سوى بعض المسافرين وموظفي المحطة ينتظرون وفود القطار الذي يصل في الساعة التاسعة ليلاً قادماً من باريس وكانت عاصفة الريح تتلاعب بانوار الغاز على رصيف المحطة فيشخص الرائي منظر خيالات مختلفة الاشكال والانواع لا تلبث الريح ان تعبث ايضاً بالاسلاك التلغرافية فتلاعبها على ما تشاء وكان على مقربة من المحطة جسر عظيم مقاماً على نهر السين لاجل عبور القطار وفي ضفة النهر قامت قيامة اشجار عديدة فتارة تعانق بعضها وتواصل حبل ودها وطوراً تقطع ما وصلت فجأة كانها ندمت على ما اثمت فتجنح الى الفراق واونة تهيجها اشجان النوى فتعود لتبادل ارتشاف الريق وتعاطي كاس الرحيق ثم تنفر وتهجر على عجل كأن ظل الرقيب حاضر لا يغيب ولسان الحال يقول

انظر الى الاغصان كيف تعانقت ... وتفارقت بعد التعانق رجّعا

كالصب حاول قبلة من الفهِ ... ورأى المراقب فاثنى مسترجعا

وبينما هي على هذه الحال أبرقت السماء وارعدت وعصفت الريح وهبت من مساكنها فسمع لها انين كانين الشاكي وعقبها دويُّ عاصفة نزلت تمزق كبد

السماء فاستنار منها الوجود ولمعت مياه نهر السين فرأيناها تتجعد وتتدفق وخلنا الغيوم الكثيفة تركض في ساحة الفلك جارية والمراكب من تحتها في قيام وقعود وقد اخذت في اسباب الملاكمة والملاطمة وصارت في هجوم ودفاع مستمرين

وما زال الهواء يدفع والغيم يمنع الى الساعة ٩ والدقيقة ٢٠ حيث ظهرت في الشمال نقطتان من النور محمرّتان وطرقت الاذان نغمات الصفير يكررها الصدى فينقلها الهواء ونادى المنادي حي على السفر فقد وافانا القطار تسوقهُ الينا ايدي البخار وها صوت دويهِ مارًّا على الجسر تقطعهُ عن بلوغ الاسماع اصوات العاصفة ممزوجة بوقوع الصاعقة ثم ناح الغيم فبلت مدامعهُ الثرى واشتد حزنهُ حتى صب عبرانهِ على زجاج نوافذ المحطة فسال السيل عرمرمًا

وما وقف القطار حتى اسرع راكبوه بالخروج لاجئين الى المحطة وجوارها من جور جيش السحاب فلحق بهم رجل خرج من احدى دساكر الدرجة الاولى وهو عظيم الهامة طويل القامة ذو لحية زانها الشيب ملتف بعباءة سوداء مزررة الازرار وعلى راسهِ طربوش احمر فلما وصل الى معبر المحطة حياه الموظفون وخاطبهُ ناظر المحطة بقولهِ ان عربتك وغلمانك يامولاي لفي انتظارك خارجًا فتكرم بالدخول الي مكتبي اذا رمت تاجيل ركوبك العربة لحينما تزول العاصفة وسالحقك عما قليل . فاشار اليهِ صاحب الطربوش الاحمر بيده علامة الشكر والامتنان وتبع المسافرين خارجًا من المحطة ثم نزل بضع درجات فوصل الى اخر السلم حيث كانت تنتظره عربة يجرها فرسان كريمان وكان قائد العربة جالسًا في محلهِ والخادم ينتظر امام الباب فلما وصل الرجل فتح الخادم باب العربة فادخلهُ واغلقها ثم صعد بالقرب من قائد العربة فسارت الخيل تنهب الارض نهبًا قاصدة قرية اورلي التي تبعد ٤ الاف متر عن محطة (شوازي لي رول)

قال المخبر وكانت العواصف الشديدة التي يسبقها الريح القوي وتصحبها البروق والرعود قصيرة الاجل فما سارت العربة قليلاً حتى سكن هياجها

ولم يبق من اثارها سوى غيوم متقطعة تحجب شعاع القمر عن وجه الثرى وظلت العربة تقطع الفيافي والقفار حتى وصلت الى طريق تحدها يمينًا غابة كثيفة الاشجار ووراءها قصر عالٍ مبني في تلك الصقاع يدعى (بتيت لوج) فقال الخادم لقائد العربة اني ادلك على طريق تريحك من المشقة والتعويق فان اردت فهيا وسق الخيل من داخل الغابة فبذلك نتوفر علينا مسافة ربع ساعة فاطاعه القائد وحول السير الى ما بين الاشجار وراحت الخيول تعدو بسرعة لاتحاكيها سرعة وبينما هم سائرون في تلك الغابة المظلمة هب النسيم اللطيف فحرك اوراق الاشجار وقذف نقط الماء التي اودعها فيها الغمام فتساقطت على قائد العربة والخادم فوضع الخادم مظلة فوق راسيهما حجب بها ما امامها عن النظر ولم تمض بضع ثوان حتى صدمت الخيول فوقعت على الارض وسقط قائد العربة فتبعهُ الخادم وعاجلهُ باطلاق الرصاص على ظهره فقام هذا للمدافعة عن نفسهِ ثم غلبهُ الالم فسقط في حفرة قريبة وخر صريعًا فحجب الراكب في العربة واخرج راسهُ من النافذة وسال الخادم قائلاً ما الخبر ولم يتم سوالهُ حتى اجابهُ شخص ملثم باطلاق الرصاص على وجههِ مرارًا متتابعة فوقع داخل العربة لاحراك لهُ وسالت دماوه على مفروشاتها ولم يكتف اللصوص بهذا الذنب الفظيع بل سحبوه الى خارج العربة بمساعدة الخادم الخائن ثم قذفوا راسهُ برصاصة اخرى . وظهر من احجام القاتلين عن تفتيش القتيل ونهب ما معهُ ان لهما غاية غير السرقة وبعد قليل سمع الخادم صوت دوي عربة فصاح بالرجلين قائلاً اذهبا وانا انتم ما بقي فغر اللصان هاربين وغابا عن الاعين يسترهما جنح الظلام في تلك الغابة الموحشة اما الخادم فانهُ اخرج احد انوار العربة وقلب جثة قائد العربة دومينيك فرآه ميتًا فتبسم وقال بصوت منخفض قد خرق الرصاص كبده ثم رفعهُ من راسهِ وتركهُ فسقط على الارض وتهشم وجس يده فوجدها باردة جدًا فتاكد حينئذ ان ليس في جسده بقية روح ثم اقترب الخادم جوستين الخائن من جثة سيده وفتش جيوبهُ فعثر على كيس من الدنانير فاخذه

وبذر بعضها في تلك البقعة مفرقة تفريقًا

ثم اعاد مشعل العربة الى مكانهِ واسرع الى احدى جهات الغابة فغاب عن الابصار ثم آب بعد عشرين دقيقة ومعهُ رجلان من فلاحي الاراضي المجاورة الغاب وكان في اثناء مسيرهِ يعض اصابع الندم ويذرف العبرات صارخًا واسفاه عليك ياسيدي روبرت شلت ايدي اللصوص التي مدت اليك آه ياسيدي والهفي عليك

وحالما راى الرجلان هذا المنظر المحزن صرخا باصوات الحزن والكدر وتسابقا لذرف العبرات ومن يتمالك الدموع عندما يرى امامهُ فرسين ملقيين على الحضيض وقد كسرت ارجلها وهما يئنان من الام سقطة اورثتهما البوار وامامهما امير كريم معفر في التراب مضرج بدمائهِ وازائهما قائد عربة امين لسيده حتى الموت يخبط في دمهِ فوالله ان ذلك المنظر يصدع القلوب وينتت الاكباد ثم خاطبهما الخادم قائلاً ها هو سيدي وقد خانتهُ الاقدار وقضمت سعوده انياب الدهر الخؤون فقربا منهُ مشعلاً كان بيد احدهما ثم سالاه ابن دومينيك قائد العربة فاشار لهما الى الحفرة التي مضى بها وبعد ان تاكدا موتهُ قالا للخادم جوستين يجب علينا الان ان ننقل الجثتين الى القصر فاجابهما وكيف ننقلهما والخيول قد تحطمت ارجلها قالا فلنصنع محملاً من اخشاب ونفرشهُ باوراق الاشجار وفي الحال صنعاه ووضعا فيهِ جثة روبرت بك وبعد ذلك حملاه وسارا والخادم الخائن ورائهما يسند راس سيده المخرقة من ضرب الرصاص ويبكي بدموع غزيرة ولما وصلوا القصر وضعوا الجثة في احدى قاعات الطبقة السفلى فصار سكان القصر قيامًا قعودًا وصار الخدام هذا يطلب طبيبًا وغيره يخبر الحكومة بذلك المقتل المهول ولم يخبروا العائلة بما اصابها من فقد عمادها

وبعد ان اوصل الفلاحان والخادم السيد آبا لحمل جثة الخادم فلما صارا في محل الواقعة فتشا على جثة الخادم فلم يجداها فقال احدهما العجب كل العجب

بين جمادى ورجب ابن دومينيك افي السماء طار ام في الارض غار

فاجابهُ زميلهُ لا ريب عندي ان دومينيك لم يمت لانهُ قوي البنية وربما انهُ ذهب الى القصر وحيدًا فريدًا

فاجابهُ الاول لو كان ما تقولهُ صحيحًا لقابلناه في الطريق فلنفتش عليهِ فلا بد ان نجدهُ هنا وبعد اجراء التفتيش المدقق لم يقفا لهُ على اثر فسارا سوية على قدم السرعة الى شوازي لي رول الاعلام رئيس الشرطة بهذا الحادث المحزن

الفصل الثاني

فلندع الان الرجلين وشانهما ونذهب بالقاري الى قصر بتيت لوج فنقول ان ذلك القصر كان يسكنهُ روبرت بك وعائلتهُ في ايام الصيف لجودة هواء الناحية الواقع فيها وروبرت بك هو شارل روبرت المهندس الفرنسوي بارح فرنسا عام ١٨٥٥ بالنسبة لحادثة محزنة سنذكرها في موضعها فشخص الى تونس حيث احلهُ الباي محل القبول نظرًا لمهارتهِ وبراعتهِ في فن الهندسة فاستخدمهُ الباي في الحكومة التونسية ومنحهُ لقب بك وعطايا كبيرة القدر والقيمة مكافاة لهُ على خدماتهِ الجليلة ولما آب الى فرنسا بعد غيبة ٢٥ عامًا كان يقضي فصل الشتاء في منزل لهُ (بالزرب) وهي احد اقسام باريس واما في فصل الصيف فكان ينتقل الى قصر بتيت لوج الذي ابتاعهُ من احد الاغنياء . وعائلتهُ كانت مولفة من امراتهِ كونستانس وابنهِ بول وابنتهِ شارلوت التي كانت في ذلك الحين بالغة السادسة عشرة من سنها وهي عنوان الكياسة وتمثال الجمال المسكوب في قالب الجلال وردية الخد قائمة النهد لها عينان سودا وان وقدٌ اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل عيناها تفذفان اسهمًا قلوب العشاق هدف لها وردفها ثقيل وهي التي قال فيها الشاعر

ياظبية البان ترعى في خمائلهِ ... ليهنك اليوم ان القلب مرعاكِ

الماء عندك مبذول لشاربهِ ... وليس يروبك الا مدمع الباكي

حكمت لحاظك ما في الريم من ملحٍ ... يوم اللقاء وكان الفضل للحاكي

سهمٌ اصاب ورامیو بذي سلم من بالعراق لقد ابعدت مرماك
كأنّ طرفك يوم الجزع يخبرنا بما انطوى عنك من اسماء قتلاك

قال الراوي وعلى تفنن الواصفين بوصف هذه الحورية يفنى الزمان وفيها ما لم يوصف اما كونستانس امراة روبرت بك فهي بديعة الجمال حميدة الخصال جبلت على الشرف والشيمة ومزجت بالمروءة والانسانية لاترد الفقير ولا تظلم الاجير سليمة القلب خالصة الود والخلاصة انها كانت ملاكًا بجسم انسان خلقها الله رحمة بالمساكين ولطفًا بالفقراء

واما روبرت بك فانهُ كان رجلاً عفيفًا كريمًا شجاعًا قوّالاً للخير فعالاً ولم يك اقل كمالاً من امراتهِ حتى ان الاغنياء والفقراء وجميع من عرفهُ شهدوا لهُ بالسبق في ميدان الفضل والكمال وتعاهدت قلوبهم على وده وتعاقدت ايديهم على حفظ عهده

واما ابنهُ بول فكان شابًا عالمًا مهذبًا درس العلوم منذ حداثة سنهِ وفي ذلك الحين كان قد مضى عليهِ ٣ سنين وهو يدرس الهندسة في مدرسة باريس الوسطى وقد برع فيها وفاق اقرانهُ ولم يبق عليهِ الا الانتظار لشهر اغسطس حيث يجرون الامتحان فيحصل على شهادة مهندس مدني لانهُ كان يعتقد ان الانسان مهما كان غنيًا فللوطن دين عليهِ لا يفيهِ الا بالاشتغال بما ينفعهُ

هذا وصف اعضاء هذه العائلة الكريمة وتالله لو صح وجود سعادة كاملة في هذا العالم لوجدت في عائلة روبرت فان كل عضو منها كان يحب الباقين محبة اتصلت للوله او العبادة وكان بول في زمن الصيف يزور قصرهم في شوازي لي رول ومعهُ بعض اصحابهِ الباريسيين واعزهم لديهِ صديق صدوق يدعى جاك ديديه مهندس التصوير حضر في قصرهم مرات عديدة وانقطع عنهم بالمرة فجأة ففلقت شارلوت شقيقة بول من هذا الهجران لانها كانت قد تعلقت بحبهِ وكرهت بعده

وفي كل الاحاد كان يزور روبرت بك احد المسجلين الشرعيين المدعو بريسون ومعهُ ابنتهُ الجميلة التي بلغت الخمس عشرة من عمرها وقد توفيت

والدتها وهي صغيرة السن فتتجاذب هي و بول وشارلوت اطراف الحديث ثم يذهبون للنزهة و يعودون لتناول الطعام بينما يسامر والدها صديقهُ روبرت بك وعند المساء يفترقون بعد الوداع فيبارح بريسون قصر بتيت لوج بعربتهِ ومعهُ ابنتهُ العزيزة و بريسون المذكور من اقدم اصدقاء روبرت بك واعزهم لديهِ ولذلك لم تنزع ايدي الغياب مواثيق الود بينهما بل زادتها ثباتا واحكامًا ولم يجهل السر الخفي الذي كان ينغص رفاهية عيش روبرت وكونستانس وفي كل يوم خميس كان يزور بول في منزلهِ بباريس في سكة ري دي مدسين والداه وشقيقتهُ فيذهب روبرت بك بعد الغد لقضاء بعض المصالح ثم يعود في الساعة الخامسة مساء ويركب العربة مع قرينتهِ وابنتهِ قافلاً الى قصرهِ وفي صباح أمس اليوم الذي قتل بهِ روبرت بك وهو يوم احد لم يحضر بريسون لان احد اصحاب المرضى استدعاه لكتابة وصية قبل وفاتهِ فاعلم سكان القصر بان ايدي الاضطرار تدعوه الى الاعتذار عن الحضور وكان بول عازمًا على السفر الى باريس في الليلة المذكورة لان الامتحان تقرر ابتداؤهُ في غد ذلك اليوم و بعد الغد حضر ساعي البريد حاملاً لروبرت بك خطابين وجرائد ففتح احدى الجرائد ولم يقرأ منها الا قليلاً حتى مال لون وجههِ الى الاصفرار وصرخ قائلاً آه ياربي فتزاحم اولادهُ وامرأتهُ حولهُ سائلينهُ ماهذه المصيبة التي داهمت جيش افراحنا فقرا عليهم بصوت عالٍ

بلغنا والجريدة تحت الطبع ان الجنرال . . . . الذي هو احد اركان جندينا وعماد شرفها قد توفي فجأة مصابًا بابداء السكتة

ولم يتم هذا الكلام حتى سقطت الجريدة من يده وقال آه يا اولادي الاعزاء ويا قرينتي المحبوبة ماذا يحل بكم لو داهمتني داهية كهذه حاشا لي ان اترككم هدفًا لرماح المصايب فساتخذ الوسائل اللازمة وغدًا اذهب الى باريس لمقابلة حبيبي المسجل الشرعي بريسون و . . . .

ثم احدق نظره بامرأتهِ والدموع تنهمل من اجفانهِ فارتجفت وقالت لهُ

يازوجي العزيز ماذا تقول ولماذا اخذك القلق وحينئذٍ تقدم ابنهُ بول وقال لهُ روحي فداك ياوالدي لماذا تريد ان تنغص عيشنا وتقدمت شارلوت ورمت بنفسها بين ايدي والدها قائلة ماذا تخشي ياوالدي بالله عليك لاتخاطبنا بهذا الكلام المحزن الذي يفتت اكبادنا . فاجابهم روبرت بك كفكفوا الدمع يااحبائي واعلموا ان موت صاحبي انذار لي وعليَّ الان واجب مفروض وهو ضمانة حسن مستقبل اولادي وامرأتي وقد عزمت على السفر غداً الى باريس فحاولت امرانهُ توقيف هذا السفر ليوم الاربعاء فلم يقبل بل اصر على الذهاب في يوم الاثنين اي غد ذلك اليوم وامر الخادم جوستين بالتنبيه على قايد العربة لتكون حاضرة لركوبهِ في صباح الغد فاطاع الخادم ولوائح الرضى تلوح على وجههِ وكان هذا الخادم اميركاني الاصل وسبب دخولهِ في خدمة روبرت بك ان الاخير احتاج الى خادم فالتمس منهُ جوستين قبولهُ بهذه الوظيفة فقبلهُ بعد ان رأى معهُ شهادات تدل على امانتهِ

وكان هذا الخادم يتظاهر بالامانة والطاعة لسيدهِ ويجتهد في استجلاب رضاهُ بتنميق الالفاظ كانهُ الذي قيل فيهِ

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

وكان يدس السم بالدسم و يغطي افاعي مقاصده الخبيثة بزهور الغيرة على مصالح سيده و يستر نيران الحقد برماد البشاشة والهشاشة و بالاختصار نقول انهُ كان شيطاناً متجسماً حتى غرت ظواهره ، وبرت بك فخفيت عنهُ بواطنهُ وشملهُ بالعطايا الكريمة وفي قطار الليل رجع بول الى باريس وقال لهُ والده عند الوداع فلترجع ظافراً ياولدي العزيز و يوم الاربعاء نحتفل بعيد ظفرك فشكر الولد وسافر

وفي الغد سافر روبرت بك قاصداً باريس بعد ان تخابر مع امراتهِ مخابرة سرية فودعتهُ شارلوت للباب الخارجي ولما سار حركت لهُ منديلها علامة الوداع

الفصل الثالث

الا قاتل الله الدهر الخؤون وشلت يد الزمان فقد الف الخيانة لا يجيد عنها وليس لهُ الى الوفاء سبيل وكيف يميل الزمان الى الوفاء او يتبع جادة الانصاف وسنتهُ تابى عليهِ الا الغدر وشيمتهُ تمنعهُ عن غير هضم الحقوق وتنغيص عيش العالمين وعادتهُ لا يحول عن اغتيال حقوق الضعفاء وانتهاك حرمة ذوي الشرف الباذخ والمعتاد حيث تعود فواعجبًا من حتير ينازل الابطال ومن الغرائب ان نرى ساقطًا يلوم ذوي الحرمة والاجلال ومن ذا لا يلوم الزمان وقد راى ذلك الوالد الحنون روبرت بك ذاهبًا وقلوب صبيتهِ تودعهُ واكبادهم تشيعهُ ثم لم يلبث ان ينظره عائدًا اليهم محمولاً على النعش جسماً بلا روح وقد اخنى عليهِ الدهر واوقعهُ في حفرة الغدر واذاق صبيتهُ من بعده الذل والقهر فلنعد الان الى ما كنا بصدده فنقول . لما وصلت جثة روبرت بك الى قصره اسرع الخادمون باعلام الطبيب والحكومة ولم يجاسروا باخبار امراتهِ وابنتهِ لان الخطب كان جليلاً . اما جوستين الخائن فكان جالسًا امام سيدهِ يبكي عليهِ وينوح اذعانًا للشك وانمامًا لعملهِ القبيح المنكر ولم تمض برهة وجيزة حتى حضر رئيس شرطة شوازي لي رويال والطبيب فالتزما بان يتوليا امر اخبار زوجة روبرت بك وابنتهِ بما انتا بهما من الويل والثبور فدخل رئيس الشرطة عليهما واعلنهما بالخبر فصرخت كونستانس ياويلاه وازوجاه ثم سقطت على الارض مغشيًا عليها وحاولت شارلوت تعزية والدتها مع انها لم تكن اقل حزنًا منها فخنقتها العبرات وسقطت على الارض بالقرب من والدتها ودموعها على وجنتيها كالدر يتساقط على الورد وخاطبها لسان الحال منشدًا

يا قمرًا ابصرت في مأتم ... يندب شجوًا بين اتراب

يبكي فيلقي الدر من نرجس ... ويلطم الورد بعناب

قال . وبعد ان رشوا على وجهيهما الماء والروائح المنعشة صحتا من هذه الغشوة واصرت كونستانس على مراءي جثة زوجها العزيز لتتزود منهُ بنظرة فلم

يتمكن رئيس الشرطة من ان يمنعها عما في نفسها فنزلت مع ابنتها الى القاعة التي وضعت فيها الجثة وكان الطبيب داخل القاعة فنهض عند ذلك ومنعها من الدخول اتقاء مصيبة تحصل لزوجة روبرت بك من شدة تاثير هذا المنظر المحزن فجلست مع ابنتها في قاعة قريبة من مكان الميت . اما رئيس شرطة (شوازي لي روا) فقد اهتم بارسال ساعٍ مصحوب بتلغرافين الى شوازي لي روا حيث ينتقلان بالبرق الى باريس احدهما معنون باسم المسجل الشرعي بريسون والاخر لسراي الحفانية ثم بدا بالتحقيق المدقق وبات تلك الليلة هو والطبيب في القصر . وفي الغد حضر على الوابور الاول المسجل بريسون بصحبة بول وقاضي التحقيق وكاتب معهُ وكانت لوائح الحزن الشديد ظاهرة على وجه بول والموسيو بريسون المسجل وحالما وصلا ذهب بول لملاقاة والدتهِ فقابلتهُ بالبكاء والعويل وسالتهُ والعبرات تكاد تخنقها ماذا جرى اقضي على والدك بالمرة فاجابها المسجل الشرعي بريسون . نعم ياسيدتي قضي عليهِ بين ايدي اللصوص والاشقياء فكفكفي الدمع وخذي اهبتك للجواب على سوالات قاضي التحقيق ولم يتم حديثهُ حتى قرع الباب ودخل قاضي التحقيق وقال بعد السلام ارجو منك المعذرة ياسيدتي لاني شغلتك الان عما انتِ فيهِ من الاحزان ولكن عذري مقبول لاني مضطر الى ان اخذ مقالك في بعض الامور كي يساعدني ذلك على تتبع اثار الاشقياء الذين قتلوه فهل انتِ زوجة روبرت بك

ـ فاحنت راسها علامة الايجاب

— وهذا الشاب هو ابنك

— فاجابهُ هذا نعم انا بول روبرت احد تلامذة المدرسة الوسطى

حسنا — ومن هي هذه السيدة

بول — هي اختي

ثم اكثر عليهم السوالات فاعلموه بكل ما يعلمون ولما عرف ان روبرت بك عاد بالعربة ومعهُ قائد العربة والخادم سال امراة روبرت بك عما تظنه في

غياب جثة قائد العربة وعن ثقتها به و بالخادم جوستين

فاجابتهُ انها لا تشك في امانتهما لان الاول خدمهم عدة سنين والثاني خادم امين لسيده محبوب منهُ

فقال لها القاضي يكفي الان فاني لا اريد ان اسالك سوالات جديدة لان ذلك يهيج اشجانك ويزيد احزانك فاقبلي مني واجب التعزية والاحترام واصغي عما اتيتهُ مضطرًا والسلام

ثم نادي الخادم جوستين فحضر كانهُ احد الابالسة وعلى وجههِ علامات الحزن والكابة الغاشة فسالهُ قاضي التحقيق أأنت جوستين

الخادم — نعم

القاضي — يقولون لي انك كنت شديد الامانة لسيدك تعزه وتحبهُ ولم يكن احد غيرك حاضراً فتقريرك سيكون جزيل الاهمية فعليك بالاقرار بجميع الحوادث التي حصلت

الخادم — حسنًا قلت ياسيدي

القاضي — بما انك كنت امينًا في محبة سيدك فيجب عليك ان تساعدني بما عندك من الاخبار للقبض على الجانين

الخادم — هذا من اخص واجباتي

وبدا القاضي يسالهُ عن الحوادث منذ خروج روبرت بك لحين رجوعهِ بالعربة ثم قال لهُ الم تصادف احدًا في طريقك

الخادم — كلا

القاضي — واي طريق سلكتها العربة

الخادم — الطريق السلطانية ثم طريق الغابة

القاضي — أم ليست هذه الطريق هي الطريق المعتاد سلوك العربة فيها

الخادم — نعم ياسيدي في ليالي الصيف وشدة الحرّ كنا نسلك فيها وكذا عند ما يكون سيدي راغبًا في سرعة الوصول الى القصر واما في زمن الصحو فكنا

نسلك الطريق السلطانية

القاضي — ومن الذي اشار بالسلوك في الغابة

الخادم — انا ياسيدي

القاضي — ولاي قصد فعلت

الخادم — اشرت الى قائد العربة بذلك لاني كنت عارفًا خوف سيدتي على سيدي من العاصفة فقصدت سرعة الوصول

القاضي — وقائد العربة قبل معك

الخادم — نعم ياسيدي

(لا ريب ان حضرات القراء يتعجبون من خبث هذا الخادم وبراعته في فن الاكاذيب وكيف انهُ اجاب على سوالات القاضي بسرعة ولم تخالجهُ رعبة قط وقد اصاب بقولهِ انهُ هو الذي اشار على دومينيك بسوق العربة من طريق الغابة لانهُ قال في نفسهِ لو كان دومينيك حيًا فيمكنهُ ان يكذبني فالاوفق ان اقول الحقيقة حتى لا يرتاب احد فيّ) . قال صاحب الرواية ثم دعا القاضي رئيس الشرطة وقال لهُ هل خالج صدرك تفتيش الغابة فاجابهُ هذا نعم ياسيدي وستحضر بعد قليل شرذمة من العساكر لتفتيشها . قال القاضي نعم ما فعلت وها انا ذاهب لمحل المقتل حيث اخذ قرار جوستين ثانية وهل وضعت خفراء على محل الموقعة فاجابهُ رئيس الشرطة بالايجاب

القاضي — اخبر الاخوين سيمون كي يتوجها الى محل الحادثة

فذهب رئيس الشرطة و بعث يطلبهم للحضور في المحل المعهود ثم عاد الى القاضي فسار الى الغابة مصحوبًا بالخادم اللعين والطبيب ولما وصلوا الى مقر المقتل رأوا الخيل ساقطة وارجلها متحطمة وامامها جذع ممدد من الشجر والعربة واقفة على حالها وعاينوا دنانير من الذهب الوهاج متناثرة على الثرى فلما عاينها القاضي سلكت عليهِ الحيلة وقال تالله ان هذا الاثر يدلنا على كون القاتلين لم يفعلوا ما فعلوا الا بقصد سلب النقود لا سلب الارواح ثم خاطب رئيس الشرطة

قائلاً هل وجدتم شيئًا في جيوب روبرت بك نقودًا او اوراقًا

رئيس الشرطة – كلا ولم نجد فيها كيسًا للنقود

القاضي – لم يبق عندي ريب ان القاتلين ما جنوا جناياتهم الا لاجل السلب والنهب اتباعًا لهواء النفس ومطامعها قال . وكان الطبيب ذا خبرة بصناعة التصوير فعرض على القاضي ان يرسم له هيئة محل الواقعة فشكره القاضي وقال له اذا اردت ان تصنع هذا الجميل فعجل لان خبر البر عاجلة وانا سانتم واجباتي بينما تشتغل في رسم هذا المكان ثم وجه خطابهُ للخادم وقال له تمم تقريرك فانك اخبرتني بالنباء لحينما تحولت العربة عن الطريق المستقيم ودخلت في الغابة

الخادم – نعم ياسيدي . وكانت الخيول تسير الهوينا في مبدإ الامر ثم عادت الى سرعتها المعتادة وكانت العواصف قد سكنت وجنت ادمع الغمام فاغلقت المظلة (الشمسية) ولكن الاشجار كانت تقذفنا بنقط من ماء السماء المودع في اوراقها فكلما هزها نسيم الطرب تساقطت علينا وتناثرت كالدر ففتحت المظلة ووضعتها امام رؤوسنا كي تحجب عنا النقط المتساقطة فحجبت عنا ما امامنا ايضًا

القاضي – ان فعلك هذا من الخطإ المحض لان سدل حجاب المظلة على اعين القائد ما يعرضكما للخطر الجسيم

الخادم – واي خطر ياسيدي البست خفراء الغابة من خدام سيدي روبرت فمن يفتكر بان في امكان اللصوص دخولها

القاضي – حسنًا ولكن ما قولك في هذا الجذع الممدد الذي عثرت به الخيل فسقطت

الخادم – لا اعلم عنهُ شيئًا ياسيدي فانا لما مررنا في الصباح انا ودومنيك للاقاة سيدي لم يكن في الطريق ولكن اظن ان اللصوص وضعوه حين غيابنا

القاضي – كمل حديثك

الخادم — ولما وصلت الخيول الى هذا الجذع الملقى عثرت بـهِ فتزلزلت اركانها وهوى دومينيك ساقطًا على الثرى اما انا فان الخوف اثر في كل التاثير فنزلت من العربة وحال نزولي سمعت طلقًا ناريًا فرجعت الى الوراء ورايت دومينيك يخبط في دمهِ في حفرة واخرج سيدي راسهُ ليرى ما الخبر فوثب عليهِ لصان وعلى وجههما اثار السواد واطلقوا عليهِ عدة طلقات متتابعة فعلمت انهما متسلحان بالرفولفر فحدثتني نفسي بالهجوم عليهما ولكني عدلت عن هذه الجهالة بعد التروي والتبصر في العواقب فان من باب الجنون هجوم رجل بدون سلاح على رجلين شاكيين السلاح فعبرت الحفرة وركضت الى مزرعة الاخوين سيمون طالبًا معونتهما

القاضي — ولما لم تطلب المعونة من رجال القصر

الخادم — لان مزرعة سيمون اقرب الى هذا المكان ولو حاولت الذهاب الى القصر لقبض اللصوص عليَّ وقتلوني لانهم كانوا في الطريق المودية الى القصر وحالما وصلت الى الاخوين سيمون راينهما على الحوان وقد مدا السماط ولما سمعا مني الخبر اشعلا نورًا وتبعاني وانا سائر امامهما وما زلنا سائرين الى ان وصلنا الى هذا المكان المشئوم فراينا منظرًا يفتت الاكباد ويبكي لهُ الجماد اذ كانت جثة سيدي ملقاة لهذا الجذع الممدد ووجههُ مشوه من طلقات الرصاص . . . . ويالهُ من منظر مفزع . . . وكانت جثة الخادم دومينيك مطروحة في الحفرة ملوثة بالدماء معفرة بالتراب . . .

وانقطع صوت هذا الخادم الخؤون واظهر ان العبرات تكاد تخنقهُ وصار يذرف الدموع المصنعة كأن الحزن عمل في جسمهِ اللعين او كأن جلمود قلبهِ لان لهذه المصيبة ثم قال لقاضي التحقيق سامحني ياسيدي فان الالم والحزن غلبا تجلدي فلم اتمكن من منع نفسي عن البكاء على مولاي

وكان جوسين يفعل كل ذلك بنوع ينطلي على الشياطين والا بالسة حتى تاكدت للحاضرين براءة ساحتهِ وحبهِ الخالص لسيده

قال القاضي — قلت لي انك عاينت اللصين اللذين فعلا هذه الفظيعة الشنيعة

فاجاب الخادم نعم — ياسيدي

ثم سالهُ القاضي — وهل يمكنك ان تبين لنا اشاراتهما

الخادم — ان ذلك مستحيل لاني كنت كالثملان من هول هذا الخطب العظيم ولكن كل ما اعلمهُ من هذا القبيل ان الواحد منهما كان اكبر جسماً من الاخر وكانت ثيابهما رثة

فسال القاضي الاخوين سيمون . هل تعرفان سائلين او متجولين تنطبق عليهما هذه الاشارات فاجابهُ الاخوان ان مركز السائلين في الطرق والسكك ومنهم من يقف بين شوازي لي رول وفيليا نوق حيث بيوت الاغنياء والامراء واما الذين يتجولون بلا عمل ولا وظيفة فهم خلق كثير في ضواحي باريس ولكنهم لا يظهرون الا في الليل ونحن نيام

القاضي صدقتما

وفي ذلك الحين اتى قائد العساكر التي فتشت الغابة فسالهُ القاضي هل عثرتم على شيء او اثر فاجابهُ الضابط لم نعثر على شيء سوى اثار في ارض الغابة ولكننا لم نقف على دومينيك ونحن في ثقة انهُ ليس في الغابة

القاضي — ان ذا لامر غريب اعطوا هذه العلائم لحضرة مفتش الشرطة وهو يبذل جهده في اكتشاف الاثار ويخبرني عنها فهيا وتمموا تفتيشكم

وكان الطبيب قد اتم رسم المكان واعطاه لقاضي التحقيق فلما اخذه نادى بالرحيل الى القصر حيث يتممون التقرير على حسب الاصول والقوانين المقررة والتفت الى الطبيب وقال وانت ياحضرة الطبيب هل اتممت تقريرك

الطبيب — نعم

القاضي — حملوا هذه العربة من الخيول وخذوها الى القصر وضعوا عليها الشمع الاحمر . ثم آبوا الى قصر بتيت اوج وبعد الغذاء عزم القاضي وكاتبه

الاول على الاياب الى شوازي لي روا مع الطبيب الذي دعاهم الى الركوب في عجلتهِ و بينما هم يتهيأون للمسير واذ بعربة وقفت امام باب القصر وخرج منها رجل ففرع الباب وحينئذٍ التفت اليهِ القاضي فعرف انهُ نائب الشرع (بتي) فناداه لما اتيت الى هنا ايها الصديق

نائب الشرع — اتيت لوضع الشمع الاحمر على موجودات البيت وسيتبعني قاضي الصلح وكاتبهُ الاول

القاضي — ولِمَ تضع الشمع الاحمر على الموجودات

نائب الشرع — الم يتوف روبرت بك

القاضي — واذا توفي

فهمس نائب الشرع في اذن القاضي واخبره بسر المسالة والمسالة السرية ثم قال لهُ بصوت عالٍ ان عندي على ذلك البرهان الكافي والدليل الوافي فعدل اذ ذاك القاضي عن سفره وقال للطبيب سافر وانا سابقى هنا

الفصل الرابع

يقلب الله بين الليل والنهار فيولج النهار في الليل و يولج الليل في النهار ان في ذلك تبصرة وذكرى لقوم يبصرون وما هذه الدنيا سوى دار شقا ودار فنا لا دار بقا اذا اضحكت يومًا ابكت شهرًا وان اقبلت شهرًا ادبرت دهرًا فنحن بين يديها

كعصفورة في كف طفلٍ يهينها ... تقاسي نزاع الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ... ولا الطير مطلوق الجناح فيذهب

فكم من ملوك انزلتهم من اعلى اسرتهم وبدلت عزهم بالذل وكم من صعلوك اصعدتهُ الى اعلى درجات العظمة والفخار فهي لا تعطي الا لتمنع ولا تعلي الا لتوطي ولا تعدل الا لتظلم ولا تبني الا لتهدم كانها عنوان الخراب او وجه العقاب فان شئت تعريفها باجلى بيان فهي

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركمُ طول ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي

فالعاقل من بات منها على حذر وقد وصفنا لحضرات قراء الرواية ما كانت عليهِ عائلة روبرت من العز والدلال وما آل اليهِ امرها من ضربة الاذلال وتلك جناية من الوف من جنايات الدنيا

قال الراوي ولم يكن لعائلة روبرت بك مدفن مخصوص في باريس فعزموا على دفنهِ في مدفن القرية في الساعة التاسعة افرنكية من صباح الغد ولم يحصل في اليوم نفسهِ ما يستحق الذكر سوى اجتماع نائب الشرع (بني) بقاضي الصلح وتقريرهم بعد المداولة اصوبية عدم ختم الموجودات في ذلك اليوم وقد تحيرت عقول اهل القصر في اسباب حضور قاضي الصلح وكاتبهِ ونائب الشرع وايابهم بعد ان تحدثوا مع قاضي التحقيق بامور لم تزل في حيز الخفاء مسدولاً عليها برقع الصمت والكتمان

وما دقت الساعة الثامنة من الغد (اي يوم الاربعاء) حتى غصت قاعات القصر وفسحاتهُ بجمهور كبير من محبي روبرت بك اتوا ليرافقوا جثتهُ الى المدفن بعد ان يعزوا عائلتهُ على فقده . اما كونستانس امراة روبرت بك فانها ارادت ان تمشي وراء المشهد ولكنها لم تقو على التمنطق بردائها الا بعد ان اغمي عليها مرتين فمنعها المسجل الشرعي بريسون صديق زوجها قائلاً لها دعي ولدك بول وابنتك شارلوت يرافقان الجثة وابقي هنا في القصر لان عزائمك خارت فرضخت لامر المسجل لانها رات رجليها عاجزتين عن حملها

ثم حمل الجسد فضج القوم بالبكاء والعويل وكان الخبيث جوستين يبكي مظهرًا اشارات الحزن والكآبة فيخيل للناظر انهُ يكاد يموت حزنًا على فقد سيده ولما خرج النعش من القصر مشى وراءهُ بول وشارلوت وما سارا قليلاً حتى اعترضهما شاب وامراة متردين بثياب الحداد والحزن فعجبا من هذه الجرأة وارادا ان يتقدما على هذين الشخصين فناداهما القاضي كونا في مكانكما ولا تتقدما . فزاد استغرابهما من وقاحة الشاب والامراة وصرامة حكم قاضي التحقيق

وكان المسجل الشرعي بريسون سائرًا بازاء القاضي فسالهُ بطرفهِ عن السبب فلم يجبهُ بجواب . ولما وصلا الى الكنيسة وضع النعش على مكان عال ووقف الغريبان (الرجل والامراة) عن يمين النعش في المحل المعين لاقرب اهل الميت فوقف بول وشارلوت في الناحية الشمالية واما قاضي التحقيق ونائب الشرع فانهما وقفا بالقرب من الغريبين

قال وكانت الامراة التي وقفت عن يمين النعش لابسة اثواب الحداد وهيئتها تدل على كونها بلغت الخامسة والاربعين من سنها وكان شعرها اشقر ولها عينان سوداوان وبصرها حاد وشفتها العليا ترتجف ارتجافًا كانها مصابة بالحمى وكانت علائم وجهها تدل على انها كانت في صغرها جميلة القد مليحة الصورة واما الرجل فانهُ كان شابًا يبلغ من العمر ٣٥ سنة وهيئتهُ كهيئة تلك الامراة وكان نظره حادًا وحاجباه طويلين وشعره اشقر وهيئتهُ مفزعة . ولما قام الاثنان ليرشا على وجه الميت ماء مصلى عليهِ نظرا الى بول وشارلوت نظرة البغض والاحتقار . ثم سار النعش محمولاً على الايدي فسار الغريبان وراءه ولما وصلوا الى المدفن تحير من رافق النعش من اصحاب روبرت بك من صفة هذين الغريبين وعجبوا من فعالها وصار بعضهم يهمس في اذن البعض الى ان خرجوا من المدفن فآب بول وشارلوت الى القصر وقد اوشك الحزن ان يقضي عليهما فان الحداد كان عامًا فلم يريا امامهما الا لابسيهِ فضاقت بهما الارض طولاً وعرضًا وكأنّ السماء قد اشفقت عليهما فاظلمت وسترت وجهها بكف الغمام وناحت فتساقطت دموعها نبل الثرى وكان الريح الغربي ينفخ فيها فترجع القهقرى اما الرياض فانها كانت محصودة من غلائها ممنوعة من خيراتها والغربان تنعق فيجيبها البوم ان هذا اليوم ليوم مشئوم اما الغابة التي قتل فيها والدهما فانها كانت واقعة على شمالها ولما هبت الريح صارت تتقطع على الاشجار فيسمع لها انين كانين الشاكي بينما كان يتساقط من السماء ما يشابه عبرة الباكي فلما نظرا كل هذه المناظر المحزنة استولت عليها الرعدة والرجفة

وهرولا الى القصر بكل سرعة فدخلاه متنفسين الصعداء كمداً والدموع تسيل على خدودهما وكان الحزن قد لعب بهما بكليتهما فلاقتهما والدتهما بالدموع والبكاء وضمتهما اليها ولسان حالها يقول لهما قد فقدتما والدكما وفقدت انا زوجي العزيز فتعادلت مصيبتنا ولكن ويلاه ما العمل وقد فقدنا ركننا وعمادنا

وبعد ان لبثوا برهة لا يتفوهون بغير البكاء والعويل كفكف بول دموعهُ وخاطب والدتهُ

قائلاً . ياوالدتي العزيزة اسمحي لي بسؤال واحد وهو وان كان يشغلك عن البكاء على والدي فانهُ متعلق بهِ ايضاً ثم قص لها مسالة الشاب والامراة اللذين مشيا امامهما في الجنازة ونظرا اليهما نظرات خبيثة تدل على الحقد والبغض وقال لها اتعلمين من هما . فاجابتهُ والدتهُ لا اعلم . فسالها ثانياً لا بد وان يكونا من اقارب والدنا فهل لا تعرفينهما فاجابتهُ لا اعلم شيئاً عنهما فان والدكما لم يخبرني ان لهُ اقارب من حين زواجنا

قال الراوي وكان وجه كونستانس عند ما تكلمت هذا الكلام محمرًّا ولسانها متلعثماً عن الحديث فعجب بول وقال ان ذا الامر عجيب وشيء غريب وقد كنت سالت صاحبنا المسجل بريسون عن هذا الامر لو لم اره منهمكاً بالكلام مع قاضي التحقيق اما كونستانس فانها عادت الى البكاء وسترت وجهها بيديها فقالت شارلوت لبول لماذا يااخي تذكر هذين الشقيين فان ذلك يهيج اشجانها ويزيد احزانها فدع عنك ذكرهما فاننا لن نراهما ابداً . وكان بول ينظر الى الباب الخارجي فقال لها انك مغشوشة لانهما اتيان الينا ومعهما قاضي التحقيق وشخص اخر لا اعرفهُ ووراءهم المسجل بريسون صاحبنا فعند ذلك قامت كونستانس واحدقت بهم فقالت وهي تجتهد ان تضبط نفسها انزل ياولدي بول الى قاعة الاستقبال لملاقاة ضيوفك وساتبعك انا وشارلوت حالاً فاستغرب بول هذه الامور واراد ان يستفهم منها عن السبب فلم تمهلهُ بل كررت عليهِ الكلام بان يسرع الى ملاقاة الضيوف بما يليق بمقامهم فراعهم

داخلين القاعة فاحنى راسهُ امامهم علامة للسلام والاحترام فتقدم اليهِ نائب الشرع (بتي) وقال انا نريد والدتك فان لنا معها شغلاً

بول — ان والدتي وشقيقتي ستحضران قريبًا ولكن اتسمح لي بان اسالك بحضرة من منا انا

وبينما كان نائب الشرع يحاول اجابتهُ على سوالهِ دخلت كونستانس مستندة على ذراع شارلوت كانها قطعة من الجماد فرمت نفسها على كرسي في القاعة فتقدم اليها المسجل بريسون واراد ان يخاطبها فقال لهُ نائب الشرع اسمح لي ياحضرة المسجل فان خطابي للسيدة اهم ثم اقترب منها وجلس بجانبها وقال ان مامور بني التي ساعملها الان هي تابعة للشرع والاداب ولذلك اقبل على نفسي مسئوليتها ثم وجه خطابهُ الى كونستانس قائلاً اتيت هنا ومعي عميلي وهما مادام سسيل شامبلي امراة المرحوم روبرت بك وابنه فريدريك روبرت على قصد تسليمها وراثتها بصفة كونها امراة وابن الفقيد ولاجل حفظ حقوقها بصفة كونها امرأة وابن الفقيد واتباعًا للبند ١٩٤ من قانون المرافعات المدنية اقدم لكم . اولاً صورة عقد النكاح بين روبرت بك ومدام سسيل المورخ في ١٠ اجنايو سنة ١٨٥٥ بمعرفة شيخ حارة القسم الثاني وهذه الصورة منقولة عن دفاتر باريس المدنية

ثانيًا . ملخصًا ثانيًا من الدفاتر بنفسها يثبت ولادة فريدريك روبرت من والده ووالدتهِ ثالثًا ولاجل عدم المعارضة اقدم لكم ايضًا عقدًا شرعيًا مثبتًا ان الشخصين المذكورين هما الحاضران بين يديكم فنتج عن كل ذلك ان مدام شارل روبرت بك ابنة شامبلي هي ارملة المتوفى دون غيرها وان فريدريك روبرت الحاضر هنا هو ابن المتوفى الشرعي ووريثهُ الوحيد

وكان وقوع هذا الكلام في اذان بول وشارلوت كوقوع الصاعقة فحسب بول ان السماء انطبقت على الارض وصرخ بنائب الشرع كذبت وكذب كلامك الساقط

فقال نائب الشرع ان كلامي هو الحقيقة بعينها ومينها وهذه البراهين

والحجج لاتبقي ريبًا فيما قلتهُ . فاجابه بول بغيظ . وما نحن ان كان هذا ابن روبرت بك كما تقول

فصمت نائب الشرع وكانت كونستانس تذرف الدموع الغزيرة فنهضت سسيل شامبلي وقالت لهُ . انا ابين لك من انم فهذه والدتك معشوقة روبرت بك وانت واختك ولدا زنا . . . وقد قدمت براهيني واوراقي واثبت حقوقي وحقوق ابني فقدموا ما يناقض ذلك ان استطعتم

وما اتمت كلامها حتى صار بول واختهُ في عالم الحيرة والطياشة اذ انهالت عليهما المصائب من كل جانب وفقدا اباهما ومالهما وشرفهما وكل عزيز عندهما واما سسيل وابنها فانهما اظهرا السرور كمن نال بالانتقام غايات الامل ولم تكتف بذلك حتى قالت وعيناها محمرتان

لقد مضت عشرون سنة ومعشوقة روبرت بك وولدا زنا يرتعون في هذه الخيرات بدلاً من زوجتهِ وابنهِ فانا الان في بيتي واطردكم خارجًا فهيا للخروج . . . . ثم اشارت لهم الى الباب

فصرخ بول قائلاً يا والدتي الا تكذبين هذه الامراة الا تقيمين الحجة عليها ام كل ما تقولهُ هو في محلهِ . . . . قال ولم يتم بول حديثهُ حتى لعبت براس المسجل بريسون الحمية والنخوة وراى من الوجوب المحاماة عن شرف الفقيد واولاده فقال لبول ان والدتك ستجيبك على ما تريد ولكني اجيب السيدة المصونة فانها اذا تذكرت انها ارملة المرحوم روبرت بك فلا ينسيها ذلك انها كانت امراة شارل روبرت . فلما سمع ذلك نائب الشرع نهض وفتح النوافذ وقال المسجل بريسون قد فتحت النوافذ ليسمع الناس جميع كلامك حتى اذا نطقت بشتيمة او اهانة لعميلي يكون الناس شهودًا عليك

فصرخ المسجل قائلاً . وانا ايضًا افتح الابواب والنوافذ وادعو كل الناس لاستماع ما اقول

فانك ياسيدة سسيل تريدين اهانة ميت وتخجل امراة حرة بحرمانها

من اعتبارها واحترامها تالله ان ذا لامر مستحيل فانك طمعت بما للفقيد وستحوزين عليهِ ولم يكن في انتظارك كشف الستارة عن زلانك والعار الذي التففت بهِ منها اني ازيح الستارة غير مشفق على حالك لانك قطعة من الجلمود لاتستحقين الاحسان والشفقة

فقال قاضي التحقيق . لست حاضرًا بينكم ايها السادة الا استطلاعا للاخبار واستنطاقًا لما من شانهِ ان ينوّر بحثنا عن قاتلي روبرت بك ولكني اعارض كل اشهار امام العموم وغير ذلك مما يعرقل مساعيّ في ماموريتي فانت ياموسيو (بتي) اغلق الباب وعلى الموسيو بريسون ان يتكلم بالثاني نابذًا جانب الحدة والغضب فان بذلك تثبت الحقوق لا بالحدة والطيش . فاجابهُ المسجل بريسون سانبع نصيحتك ياحضرة القاضي لانها ماخوذة من الحكمة والصواب . فاقول منذ خمس وعشرين سنة كان احد المهندسين المشهورين المدعو شارل روبرت يتردد على منزل ابنة جميلة الصورة فقيرة الحال ولما كان سلوكها الظاهر يدل على انها متحلية بحلى الفضيلة والكمال احبها حبًا شديدًا ثم طلبها للزواج فقبلت بان يتزوج بها وقد كانت هذه الابنة سعيدة الحظ بزواجها ذاك الشاب الاديب فانه فضلاً عن كونهِ مهندسًا بارعًا ذا مستقبل حسن كان عندهُ ٣٠٠ الف من الفرنكات ولم يكن في امل مدموازيل سسيل شامبلي في ذاك الحين ان تحصل على شاب مثلهِ او اقل منهُ بدرجات

فاجابتهُ سسيل شامبلي . وكيف ذلك الم يكن عندي مائة الف فرنك وهي مذكورة في عقد الزواج

فقال لها المسجل بريسون دعي عنك الكذب والتغرير واعلمي اني كنت صديق روبرت واخيهِ نعم ان عقد الزواج مذكور فيهِ انهُ قبض منك مائة الف فرنك ولكنها كانت منهُ منة وكرمًا مع غير اهلهِ لانك ما كنت تملكين شروى نقير . فلنعد الان الى حديثنا الاول . ان سعادة صاحبي كانت قصيرة جدًا ففي ذات يوم اتاني وحياني ووجههُ مصفر وهو يرتجف ارتجافًا كانهُ مصاب

بتشنج عصبي ثم قال اني مسافر الى افريقيا لاستروحي من العار الذي يحيق بشرفي فان موتي الان خير من حياتي . فقلت لهُ ماذا جرى لك ياصديقي العزيز اخبرني حالاً ما سبب تفوهك بهذا الكلام

فقال ان سسيل هي ادنى واخبث ما خلق الله في الارض فانها كان لها عاشق قبل زواجها ولم يزل الى الان والولد الذي حبلت بهِ هو منهُ لاني تاكدت ذلك من خطاب اوقعتهُ الاقدار في يدي فهرولت الى البيت فرايتهُ معها وعند ذلك انتقمت منها فسالتهُ هل قتلتها فاجابني قد جرحت سسيل وقتلت عاشقها

فقطعت ارملة روبرت بك حديث المسجل وبريسون وقالت اني لمقيمة الحجة القوية على هذه التهمة الباطلة التي قد برئت منها

فقال لها المسجل اذا كان الامر كما تقولين فلماذا اخليت ساحة روبرت بك وحلت علائقهُ معك

فاجابتهُ سسيل ان ذلك لم يحصل الا حينما مد لهُ اصحابهُ وانصاره يد المساعدة والمظاهرة

فتبسم المسجل وقال لها اتذكرين ياحضرة السيدة انك امام قاضٍ يقدر الامور قدرها ويعرف خلها وخمرها فنهض نائب الشرع وخاطب المسجل قائلاً

اذكرك ياموسيو بريسون انك قد اتهمت عميلتي بالزنا وانت تعلم ان البند ٣٣٦ من القانون الجنائي لايجيز اشهار زنا الامراة لغير زوجها وهذا التسامح يفقده الزوج اذا حصل لهُ ما هو مذكور في البند ٣٣٩ من القانون نفسهِ اعني اذا اتى بمعشوقة لبيتهِ . فاذا كان روبرت بك غير قادر على هذا الاشهار فلا يصح لك ياحضرة المسجل ان تشهره انت

فاجابهُ الموسيو بريسون انحن في مقام المجادلة او موقف المرافعة حتى تخاطبني بمثل هذا الحديث فها انني الان اكرز على اسماعك قبولي بمسئولية حديثي كلهِ وانم حكايتي الواقعية فاقول

ان صديقي شارل روبرت بارح فرنسا شاخصًا الى تونس وترك جميع ما يملكهُ الى امرانهِ الخائنة الحاضرة هنا واذا اراد حضرة قاضي التحقيق تحقيق هذه المسالة فليراجع الصحف القضائية الصادرة في ذلك الحين ولا ريب عندي انهُ اذا راجعها يعلم اني لطفت العبارة وما ذكرت من الشعلة الا شرارة

ثم لم يلبث الجدال حتى انفض بتبرئة صاحبي ولولا وعدي لكم باني لا اخبركم الا بالحوادث مجردة عن التفصيل لكنت شرحت لكم عن سلوك هذه الامراة اثناء الخمس والعشرين سنة التي تركها فيها صاحبي ولكني لا ارغب البحث في هذا الامر بل يكفيني الانتقام اخذًا بثار سيدة اهانتها هذه الامراة الدنيئة وقد بينت لكم ان هذا الولد الذي يدعون انهُ ابن روبرت بك ووريثهُ الشرعي هو نغل وابن زنا ولو قيد اسمهُ في الدفاتر المدنية بصفة ولد روبرت بك ثم التفت الى كونستانس والدة بول وقال لها اجيبي ولدك اينها السيدة المصونة عن سوالهِ فاني قد اتممت خطابي فاشرحي لهُ عن سلوك روبرت بك وسلوكك حينما كنتما في تونس وكيف انهُ لقبك بلقبهِ (هي عادة جارية عند الاجانب ان يلقب الرجل امرانهُ بلقبهِ)

فقال النائب (بني) ان هذا الامر لا يهمنا مطلقًا لخروجهِ عن الموضوع فنحن لا نرغب في استماع روايات الحب الذي وقع بين روبرت بك والسيدة كونستانس وليس من شاننا ان نطلع على حديث العشق الذي عقد بينهما

ولا يخال للقراء الافاضل ان كلام نائب الشرع عن عدم مراعاة حرمة الانسانية او عن سوء نية وخبث طوية بل تلك عوائد جرت عليها رجال الشريعة فانهم يقذفون سهامهم بعضهم على البعض ويحامون عن عملائهم بالطول والعرض)

قال الراوي فحنق المسجل وقال اذا لم تسمحوا للسيدة بالكلام فانا اتكلم بالنيابة عنها . فقال قاضي التحقيق دعوا السيدة تتكلم بما تشاء فانني من الراغبين في الوقوف على افعال روبرت بك الماضية

وكان القاضي لم يتفوه بهذا الكلام الا ليعلم من يستفيد من قتل روبرت بك فراى ان المستفيدين من هذا المقتل هما سسيل شامبلي وولدها فعزم على استكشاف ماضيهما واستظهار خوافيهما تذرعاً للوصول الى معرفة القاتل كما هو هم القضاة النبهاء

الفصل الخامس

وكانت كونستانس قد كفكفت الدموع وسكن قلبها بعد الهلوع فنهيجت اشجانها بدعوة صديق زوجها لها وتذكرت تلك الايام والسنين التي مضت بقرب زوجها الحبيب وقرعت سن النادم على السعادة الماضية ملتهفة متحسرة ولم يكن في امكانها العود الى البكاء والعويل لان عليها فرضاً مفروضاً الا وهو الاقرار بالحق دون غيره اذ رميت بالزنا واهين اولادها فلم يبق امامها الا ان تتمنطق بنطاق العدل والحق وتقبض على مجن الحزم والعزم للدفاع عن شرفها وشرف ولدها وزوجها الذي كان موجوداً فاصبح مفقوداً . وفي ذلك الحين حرك النسيم احدى اخشاب نوافذ القاعة فانفتح فتخللت القاعة اشعة الشمس مضيئة على وجه كونستانس فاشرق بدره وتكلل جبينها بالحياء وسرى فيهِ دم الالم والحزن فاصبح لامعاً كالذهب الوهاج فحمل الاستغراب بول وشارلوت على رمي انفسهما في احضان والدتهما الحنونة فعانقتهما برهة من الزمن ثم اجلستهما بجانبها وقالت

لا امتنع عن اخباركم بقصتي ولكني قبل كل شيء استشهد بكم يا ولدي العزيزين و ياصاحبي الودود بريسون لانك دافعت عن شرف صديقك واخيك زوجي نعم ان موقفي الان حرج ومركزي عسير ولكن حاشا لي ان ادنسهُ بالكذب لاني قد الفت الصدق والمعتاد حيث تعود فاقول

ولدت في تونس من اب فرنساوي يحترف الطب ولم اع على الدنيا الا يتيمة وحيدة فلما شببت رايت شارل روبرت فلمحت في وجههِ اشارات الحزن والوحدة ونكد الحظ وعلمت انهُ مثلي فكان لمنظره الحزين تاثير في قلبي

فاحببتهُ محبة خالصة وودتهُ مودة لا يشوبها ريب وكنا نجتمع مع بعضنا فنتحدث في امور الدنيا واحوالها ففي ذات يوم كنا مجتمعين فاقر لي بحبهِ وانهُ يرغب الزواج بي ثم قص عليَّ حديثهُ من اولهِ الى اخره وقال لي انهُ اسف لكونهِ لم يبرىء نفسهُ من هذا الولد واظهر لي ان عقد زواج شرعي مستحيل عليهِ لانهُ لا يعلم ان كانت امرانهُ الخائنة باقية على قيد الحياة ام قد اغتالتها المنية وسقتها كاس الحمام آه يا كونستانس لو تعلمين مقدار حبي لك وشغفي بك ولكن واأسفاه فاني لا اقدر على الزواج بك شرعيًا لان مرادي ان اعود الى فرنسا بعد عشر سنين او عشرين سنة فاذا كنت تثقين بكلامي وتركنين لاوعادي فاني لا ادخل فرنسا الا معك وابذل كل ما اقدر عليهِ لتسجيل زواجنا رسميًا فقولي لي ايتها الحبيبة اتعتقدين بشرفي وشهامتي وهل ترغبين ان تكوني رفيقة حياتي وزوجتي العزيزة

فلما سمعت منهُ هذا الخطاب وضعت يدي في يدهِ وتعاقدنا على الزواج وتعاهدنا امام الله تعالى ان لا يخون بعضنا بعضًا وحفظنا العهد بامانة كلية كما يشهد بذلك كل من عرفنا من سراة تونس وفرنسا

فقال المسجل بريسون . اني لا اصدق على ما قالتهُ السيدة ضامنًا صحتهُ والدليل على ذلك هو انني ادعوها الى ضيافتي بصفة كونها هي ارملة روبرت بك الحقيقية واذعوا اولادها ايضًا فانهم هم اولاد روبرت دون غيرهم . فلتقل لي السيدة سسيل هل دعاها احد الى ضيافتهِ في الازمنة الغابرة . فنهض فريد بريك وقال بحدة وغيظ ان والدتي ما كانت بحاجة الى مثل هذه الضيافة

فاجابهُ بريسون — ان ما تقولهُ ربما كان في حيز الامكان ولكني اظن انكما احتجتما الى تركة المرحوم روبرت بك واسرعتما باثبات حقوقكما فيها وهذا يدل على كونكما كنتما واقفين لها بمرصد من الزمن الطويل . اما بول فانهُ قبض على يد المسجل بريسون وشكره على صنيعهِ الجميل وقال لهُ

اي لسان لا ينطق بشكرك واي جنان لا يحفظ فيهِ حسن ذكرك فانك تكرمت وافضلت بهذه الدعوة مبرهنًا على كون صداقتك ثابتة لا تزول ومودتك مؤيدة لا تمحى ولكني اولى منك بحمل اثقال والدني وشفيقتي فهما ياتيان عندي في بيتي الواقع في باريس ولا احوجهما لشيء ما دمت موجودًا في هذا العالم الشقي فهيا بنا الان مكثنا في بيت لم يبق لنا فيهِ ناقة ولا جمل لا يليق بشرفنا وهمتنا . فقالت كونستانس وانا لا اخذ منهُ سوى الثياب التي عليَّ . وعند ذلك اخرجت حلق الماس المعلق باذنيها ورمت بحلاها وخواتمها الى سسيل فصرخ بول معانقًا والدتهُ اني لا فتخر بكوني ولدك لما فيك من عزة النفس والشهامة

وكان هذا الكلام شافيًا لغصة كونستانس ولكن قاضي التحقيق جمع الحلى المنثورة وقدمها الى كونستانس قائلاً

اني لاشهد لك اينها السيدة المصونة بحسن السلوك والشرف الباذخ ولكني ارجوك ان لا تتطرقي في هذه المسالة لان هذه الحلي هي حقك بلا مراء ولا يحق لاحد هنا ان يعارضك فيها ويحق لك اخذ كلما يخصك ويخص اولادك من المتاع والثياب فاصرت سسيل على الرفض فوضع القاضي الحلي في يد شارلوت

وقالت كونستانس اني قابلة لنفسي بالفقر والذل ولكني ابرهن على حقوق ولدي روبرت بك الحاضرين هنا وقد صنع روبرت بك وصية بخطهِ وهذا مفتاح الصندوق الموضوعة بهِ فليفتح اذا ثم اعطت المفتاح لقاضي التحقيق فسلمهُ هذا الى نائب الشرع وقال لهُ افتح الصندوق بيدك فقلقت سسيل وولدها برهة ثم زال قلقها حين اعاد نائب الشرع المفتاح الى قاضي التحقيق قائلاً . لا فائدة من فتح هذا الصندوق لانك تعلم اكثر مني ان البند ٧٦٢ من القانون المدني يقول ان الاولاد الاتين من الزنا ولو اثبتوا كونهم اولاد المتوفي فلا يكون لهم حق بوراثة ابيهم بل يجوز لهم في بعض الاحيان ان ياخذوا مونة لغذائهم

فقال لهُ قاضي التحقيق لا اجهل ما تقولهُ ياحضرة النائب ولكن من اعلمك بان هذه الوصية تتعلق باولاد الزنا و ربما ان روبرت بك عمل بموجب البند ٩١٣ من القانون اذ ان وريثهُ هو واحد فيمكنهُ ان يوصي بنصف مالهِ للغير فافتح الصندوق بلا معارضة ففتح النايب الصندوق وهرول وراءه الشاب وامهُ ولكنهم لم يجدوا فيهِ شيئًا فصرخت سسيل شامبلي صرخة الفرح والسرور

فقال المسجل ان ذالك يفرحك ايتها السيدة ولكني ساقصر مدة افراحك لان هذه هي الوصية (قال ذالك واخرجها من جيبهِ) فنظرت اليهِ بعين البغض والاحتقار ولكنهُ لم يلتفت اليها بل استتبع حديثهُ قائلاً

نعم هذه هي وصية روبرت بك فانهُ اتاني في باريس واستشارني في كيفية عمل وصيتهِ التي منعهُ الموت عنها و هذه الوصية عادمة لانها لم تسجل فضلاً عن وجود وريث شرعي

فاجابهُ النايب الشرعي ان هذا الامر يمنعهُ البند ١٠٤٣ من القانون المدني . وعند ذلك انتهى الجدال وقال الموسيو بريسون لسسيل بوجه عبوس آسف انك الان في بيتك وها نحن ذاهبون ثم التفت الى كونستانس وقال لها هيا بنا نخرج ايتها السيدة فخرجا وتبعهما بول وشارلوت وشيعهما قاضي التحقيق الى الباب الخارجي ولما عاد القاضي راى علامات الفرح تلوح على وجهي سسيل وابنها فقال لنائب الشرع وابنها استحالي بالانفراد بالسيدة برهة من الزمن فخرج نايب الشرع ولم يخرج فريدريك الا بعد ان اشارت اليهِ والدتهُ بالانصراف قال القاضي اتعلمين ياحضرة السيدة ان عليك واجبات لزوجك المرحوم وهذه الواجبات مقدسة لانها تدلنا على القاتل باقرارك على الحقيقة في كما القيهِ عليك من السوالات

— فاجابتهُ سسيل اني سابذل كل الوسايل لايفافك على ما تريد وقد انساني مقتل زوجي ما عاملني بهِ من الجفا والهجر فان قلبي قد صفح لهُ عن ذنوبهِ وقساوتهِ عليَّ . قال القاضي . اني لا احسب نفسي سعيدًا باستماع خطابك

هذا فاخبريني هل انت قاطنة مع ابنك في منزل واحد

سسيل — نعم ياسيدي

القاضي — أين

سسيل — في باريس

القاضي — وفي اي سكة

سسيل — في سكة فوليانتين نمرة . . . .

القاضي — منذ كم شهر

سسيل — منذ ستة اشهر

القاضي — واين كانت اقامتك فيما مضى

سسيل — كنا انا وابني في الخارج

القاضي — حسنًا تكلمت ولكني اخبرك ايتها السيدة ان المجلس سيطلبك ليستعلم منك عن بعض اشياء قاضية فهل تقدرين ان تقولي لي . . . . .

سسيل — ماذا تريد بذلك

القاضي — اريد ان تعلميني من ابن كان مصروفك بعد هجر روبرت .

سسيل — اما قالوا لك ياسيدي ان زوجي ترك لي كلما كان يملكه

القاضي — صدقت فاني نسيت

(وما كان القاضي من الناسين ولكنهُ سالها ذلك ليعلم سرها الباطن)

ثم قال لها — وهل كفاك هذا المبلغ لتربية ولدك ومصروفك الى يومنا هذا

سسيل — كلا فاني كنت اعلم اولاد عائلة انكليزية غنية جدًّا ولكنني اسالك العفو ياحضرة القاضي فان هذه الامور لا علاقة لها بالمقتل فهل هذا الكلام هو لاخذ قرار مني

القاضي — لا ياسيدتي فان هذه السؤالات ماهي الا للاستعلام فقط . وارجوك ان تقولي لي هل كان في علمك ان روبرت بك عاد الى فرنسا ومعه عائلة

فاجابتهُ سسيل — كلا

القاضي — أفمن اعلمك بموتهِ

سسيل — الصحف

القاضي — وقد اتيت حالاً مع نائب الشرع وابنك لاثبات حقوقهِ في ميراث روبرت بك

سسيل — والم يكن ذلك من اخص واجباتي

القاضي — نعم ياسيدتي . واظن ان افتراقك عن روبرت بك وغيابك عن باريس مع جهلك رجوعهُ الى فرنسا كل ذلك من الاسباب التي تحول بينك وبين الايضاح عن القاتلين

سسيل — لا علم لي بالقاتلين ولكني اظن ان اسباب القتل هي السلب كما ظهر عياناً من نهب الاوراق والدراهم التي كانت مع روبرت بك

القاضي — ولكن ياسيدتي ربما كان الرجل الذى قتلهُ روبرت بك بين ايديك قريب او اخ يرغب اخذ الثار

فاجابت سسيل — من برهة وجيزة برهنت على براءتي من هذه التهمة واقمت الحجة على هذه الاهانة فكيف تزدري بي ياحضرة القاضي بعد ان اتضح لك ان هذا الامر ليس الا من قبيل المفاسد

القاضي — ولكن ما تقولين في سفر روبرت بك وبراءة ساحتهِ

سسيل . ان ذلك لا يثبت عليَّ شيئاً من التهمة فان شارل روبرت قد غره التمويه واعتمد على قول الوشاة والعذل فان الخطابات التي عثر عليها كان تاريخها قبل زواجي ولم يكن فيها ما يجلب سوء الظن والريب وتعلم يا حضرة القاضي ان البنات الجميلات كثيراً ما تبعث اليهن الرسائل الحبية والخطابات الغرامية ممن يدهشهُ جمالهنَّ وتسحره عذوبة الفاظهن والرجل الذي رموني بعشقهِ لم يقتل بين يدي بل كان عازماً على الزواج فاناني يطلب خطاباتهِ لي ومن نكد الحظ لم احرق هذه المحررات قبل زواجي

فقال القاضي في نفسهِ ان هذه الامراة اروغ من ثعالة ثم خاطبها بصوت

عالٍ قائلاً

لا الح عليك بسوالات جديدة يا سيدتي بل اعلمي ان وظيفة قضاة التحقيق كثيراً ما دعتهم الى القسوة والشدة فربما اقلقوا القلوب والافكار فلن يخشى البريء من عقابنا

قال الراوي . وكانت العربة قد وقفت لانتظار القاضي وكاتبهِ والمسجل الشرعي فدخلوا وسارت بهم على عجل . اما فريدريك فانهُ دخل على والدتهِ ولوائح القلق مشخصة على وجههِ وقال لها ماذا جرى لك مع قاضي التحقيق فاجابتهُ بهز كتافها علامة للازدراء والاحتقار

وما سمعت سسيل وابنها بغلق الباب حتى قاما في القاعات يتجولان ويجلسان على الكراسي المفروشة بالحرير والاطلس وصرخا بصوت الفرح والتوحش ان كل هذه الاموال والمفروشات اصبحت ملكنا . وبينما هما على هذه الحال فتح الباب وظهر راس شخص من خلالهِ فقال لها بشفاه ترتجف ارتجافاً — وحصتي انا (وكان هذا الخادم جوستين)

الفصل السادس

تمضي الحوادث بمرور الايام وتكرار الوقائع في ساحة النسيان اذا مضى عليها حين من الزمان ورب صديق عدمناه وذرفنا لفقده العبرات واوشكت اكبادنا ان تتفتت عليهِ بيد الحسرات فلم تلبث الايام ان تمحو آثار اللهفة على فقدهِ وتطفي من الحزن شراره فننساه ونسلاه كاننا ما احببناه ولا عرفناه والناس في السلو فئات فمنهم من يسلو بعد ايام ومنهم من يسلو بمرور الاشهر وبعضهم لا يسلو الا بكرور الاعوام

تلك سنة من سنن الزمان وهو شيخ طالما روع الشباب وشتت شمل الاحباب فاصبح الناس وقد رماهم بنصال غدره وقذفهم بنبال خيانتهِ في سره وجهره يئنون ويشكون من عذابهِ وقهره على انهُ غفل عن البعض فباتوا في نعيم آمنين ولكنهُ ما اراحهم الا ليتعبهم وما اعزهم الا ليذلهم فاليوم منهُ مع الهم

طويل مديد والدهر بالسرور قصير رغيد وما الطف ما قال الشاعر في هذا المعنى

ان الليالي للانام مناهل تطوى وتبسط بينها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

قال الراوي . وما مضت ٥ ليلة من ليالي الهموم حتى كانت كونستانس وشارلوت ساكنتين في منزل بول لانهُ نظراً لثروة ابيهِ الجزيلة استاجر حين وجوده في المدرسة الوسطى منزلاً بشارع (كاترفيس) وكان هذا المنزل واسع الارجاء يكفي لثلاثة اشخاص نزلوا الى درجة الفقر بعد الغنى والثروة . اما الموسيو بريسون فانهُ رافق بول وشارلوت وكونستانس الى منزل بول لانهُ (اي بول) لم يقبل التثقيل عليهِ نظراً لمروءتهِ وشهامتهِ وعزة نفسهِ وحينما ودعهم خاطبهم بهذا الحديث

ان المصيبة التي رزئتم بها جعلت على فروضنا نحوكم اعظم من الواجبات الماضية لان اتمام فروضي لم يكن لازماً اذ لم تكونوا في حاجة اليهِ اما الان فاؤمل منكم قبل كل شيء مداومة العلاقات الودية والمواثيق الاخوية كما كانت في الماضي وطالما قد اضافنا روبرت بك في قصركم (بتيت لوج) في كل الآحاد ولذلك ارجوكم ان تقبلوا ضيافتي في كل يوم احد وقد خصصت لكم ضيافة الآحاد دون غيركم اذ ربما يكون اجتماعكم بالغير مهيجاً لاحزانكم محركاً لاشجانكم وتيقنوا ان القلب والجسم والعقل أصبحوا أسرى ودكم وارقاء حبكم فاومل ان لا تعاملونا معاملة الاغراب بل تامرونا بكل ما يلزمكم من خدم وغيرها وساضرب عليكم هذا الامر كفرض مفروض اذا احتاجت الحال فتشجعي ياشارلوت واثبتي يا كونستانس وانا ساعود اليكم عما قليل ثم مد يديهِ الى كونستانس فقبضت عليهما بيديها وقالت لهُ

— تالله انك لاكرم صاحب ودود وأصدق محب صدوق ولو كان لقلبي سبيل الى التعزية لما كانت تعزيتي الا بمودتك

ثم عانق المسجل بريسون شارلوت وقال لها غداً ناتيكِ لوبزا فتمزج دموعها

بعبراتك ونتشاركان في الاحزان على والدك الذي كانت تحبهُ حبًا شديدًا
فقالت لهُ شارلوت دعها تاتي الينا فان وجودها يعزينا ويسلينا على فقد
الحبيب . ثم تبع بول المسجل بريسون مشيعًا اياهُ الى الباب فدعاهُ المسجل وقال
لهُ ياعزيزي بول ان شهامتك وعلو همتك هما اشهر من ان يحتاجا الى برهان
فقد قادناك الى استدعاء والدتك واختك في منزلك ولم تخشَ خشونة العيش
وانعابهُ في سبيل راحتهما ولم تقبل بان يكونا في بيتي وضيافتي ولكن اذا كنت
قادرًا على احتمال المشقات وتكبد الاهوال للتعيش فلا يحق لك ان تفرض
هذا العذاب على والدتك وشقيقتك . واذا كانت مساعيك كافية لرغد
عيش العائلة فلا باس فيها والا فاني لا اسمح لك بان يكون لوالدتك وشقيقتك
نصيب في هذه الاتعاب وأفرض عليك قبول مساعدتي بالدراهم فان مالي
رهين لاوامرك اولاد روبرت بك

وقبل ان يجاوب بول المسجل قال لهُ

من الواجب عليك انت ووالدتك وشقيقتك ان تقبلوا مني كل المساعدة
فان لويزا لو تيتمت لما تاخرت عن قبول مساعدة والدك

فأثر هذا الحديث في حاسيات بول وحرك منهُ ساكن الود فاجاب المسجل
قائلاً ثق ياسيدي العزيز اني لا اقصر عن طاعة اوامرك

فاجابهُ القاضي اني مسرور منك جدًا واستودعك الله . ثم رجع بول الى
والدتهِ واختهِ وهو يردد عبارات الثناء على الموسيو بريسون الودود وفي الغد
انتظمت احوال منزل بول فانزل والدتهُ واختهُ في قاعتين من احسن قاعات
المنزل

ذلك هو البيت الذي دخلتهُ تلك العائلة الغنية التي كانت تتمايل في
القصور وتتقلب على فراش العيش الرغد فالعربات والعجلات والخيول
والحدائق والبساتين كلها حرمت على عائلة روبرت بك وذهب روبرت الى
عالم الفناء فبدل نعيم اولاده بجحيم العذاب والاسف على فقده وكان من الواجب

عليهم اظهار الجلد واخفاء الكمد لكبح جماح الدهر وصد جناح الغدر فاعتنق بول هذا المبدأ اذاصبح متكفلاً باود عائلة بعد ان كان ابنًالاحد الاغنياء المشاهير

ولا يخفى ان بول خرج من مدرسة الهندسة وبيده شهادة الاسبقية والتقدم على جميع تلامذتها فكانت لذلك ابواب الاستخدام في المهن والحرف مفتوحة لهُ ولكنهُ لا يقدر على الاستخدام الا بما يكفيهِ هو ووالدتهُ وشقيقتهُ وذلك من صعاب الامور لان المدارس لا تعلم الا الاشياء العلمية النظرية ولا تتم المعرفة الا بالتمرن والتعوُّد على العمل فعليًا فالمهندس لا تتم براعتهُ الا بالعمل ولم يلبث بول قليلاً حتى طلبهُ احد اعجاب المهن براتب قدره ٢٦٠٠ فرنك فقبل بول بهذه النعمة .اما شارلوت فانها اظهرت لاخيها رغبة في اعطاء درس بيانو لانها كانت من البارعات في فن الموسيقى فعارضها بول قائلاً

اني لا اقبل مطلقًا هذه الخدمة التي تريدين ان تقدميها للعائلة اذ لاشيءَ يشغلني في الليالي التي اصرفها في التصوير والرسم فيكون لي من المكاسب من هذا الباب ما يعادل نصف راتبي

قال الراوي ولم تكن شارلوت لتسمع كلام اخيها هذا لانها كانت تحبهُ وتعزه اكثر من نفسها بل فضلت العمل ومشقاتهِ على البطالة والكسل واتفقت مع احد تجار المراوح على ان تشتغل لهُ بعض الاشغال في منزلها وهو يدفع لها ريالاً عن كل يوم. ولما رأى بول ان اختهُ لا تخرج للشغل من بيتها قبل بمساعدتها فشكرتهُ على هذا القبول وكانت كونستانس تدبر امور المنزل ومصالحهُ فتؤجر على ذلك بمحبة ولديها الزائدة لها وهي عندها نعم المكافاة وكانا يسعيان برضاها وانشراحها تسلية لها عن الفقيد حتى انهما اظهرا لها من الحنو والاعتناء والحب الوالدي ما تعتزُّ بهِ الوالدة وكانت المحبة جامعة هذه العائلة جمعًا سالمًا لا يقبل التكسير حتى اصبحوا مع توسط حالهم في درجة من السعادة يحسدون عليها لو لم تكن ذكرى ابيهم الحنون باقية في افكارهم مطبوعة على لوح فؤادهم

فكانت الاحزان تخلل افراحهم كانهم ضربوا بنكد العيش فليس لهم الى السعادة من سبيل

وفي صباح احد الايام كان بول وكونستانس وشارلوت مجتمعين في قاعة من بيتهم ففاجأهم المسجل بريسون وعلى وجهه علامات الانشراح والافراح وكان قد اتى في عربة فدخل عليهم وفي يده سلة تفوح منها روائح الاثمار

فتقدمت اليه شارلوت قائلة . اهلاً وسهلاً بالصديق الثابت على الود ما هذا الذي بيدك ثم قدمت له جبينها الزاهي الزاهر القائم على قدها الفتان لياخذ منه القبلة الابوية

فقبلها في جبينها الوضاح وقال لها ان تلك سلة من الخوخ اللذيذ الطعم العطر الرائحة قد بعثتها اليك لويزا تذكرة منها لك فاقبلي هديتها لتحوزي شكرها

فاجابته شارلوت ان حبيبتي لويزا تكثر اليّ من الهدايا فسارجوها بان تمنع ذلك عند اجتماعي بها يوم الاحد القادم ولكني ارجوك ان تقبلها عني قبلات اخوية . اما بول فانه احمرّ وجهه خجلاً عند استماع اسم لويزا لانه كان يحبها حبًا عظيماً فعاندته الاقدار وخابت اماله في المستقبل لانه كان مؤملاً بزواجها نظرًا لكونه ابن احد المهندسين العظام الاغنياء فخيب الدهر اماله وفقد اباه وثروته وعدم اعتباره وشرفه وامانيه التي كان يبنيها على اساس الاستقبال وصار يعتبر نفسه غير اهل ولا مستحق محبة لويزا التي يفديها بروحه . وما العمل وقد الزمه الدهر بتجنب الحب والابتعاد عن العشق واوشك فواده ان يذوب حزنًا على المصائب التي اضطرته الى الرضوخ لاحكام القدر المتاح وكيف السبيل الى ستر العشق وقد التهبت نيرانه واشتعلت وما الحيلة الى السكوت فالفم يصمت والشفتان لاتحركان واللسان لاينطق بحرف واحد ولكن العين تنطق بغير لسان ونظرة العاشق لاتحتاج الى بيان وربما قضت هذه الاحزان على الانسان في شرخ صباه ولكن بول لم يشأ الموت لان

عليهِ واجبات يقضيها وفروضًا يؤديها فالشرف والانسانية الزماه بصيانة العائلة والسعي في جلب رفاهيتها وراحتها

اما المسجل بريسون فانهُ نظر الى ما حولهُ بعين القلق ثم سكن بلبالهُ وقال لكونستانس اني لاعجب من مهارتك ياسيدة كونستانس فقد صنعت ما يكفي للعيشة من مداخيل ما كانت لتكفيك لتفريق الحسنات على الفقراء في الازمنة السالفة

فاجابتهُ كونستانس . ان عملي نسهل عليَّ جدًّا بمساعدة بول وشارلوت . فقبض المسجل على يدي بول وشارلوت وقال لهما عوفيتما فانتما خير اولاد لخير أبٍ وأمٍّ

فقالت لهُ كونستانس اذكر ياحضرة الصديق ان بول وشارلوت يشتغلان بما يوازي عشرين فرنكًا في اليوم وهي كافية لمعيشتنا في الحالة الحاضرة وتزيد ايضًا

فاجابها القاضي — كيف ذلك أبعد ان كان لكم من المداخيل السنوية ١٥٠ الفًا من الفرنكات تقتصدون من ٧ الاف فرنك تالله ان ذلك من عجائب الغرائب وغرائب العجائب فانا لا اصدق على كونكم تقدرون على احتمال هذا الامر الصعب ولكن كيف تكون هذه المشقات من نصيبكم لعمري ان هذا الامر لا يكون مطلقًا

فسالتهُ كونستانس ماذا تريد بذلك

فاجابها — اعني بقولي انكم لم تفقدوا بعد الامل بالكلية فان ورائة روبرت بك هي حقكم شرعًا وعدلاً وفي الامكان تحويلها لكم وساستعمل كل مهارتي وخبرتي في المسائل القضائية لتحويل الوراثة اليكم — فصرخ بول قائلاً — فلندع عنا الامال التي لا تحقق ياسيدي فاننا اغنياء بمحبتك لنا وباتحادنا على ان نعيش مستورين بستارة العمل وقد قالت لك والدتي ان حالتنا جيدة فثق بقولها واعلم انها استحسن ايضًا وانا واثق بان راتبي سيزداد بعد سنة واحدة فاذا

تاملنا في الحالة الماضية يبلغ الاسف منا مبلغًا عظيماً لا على الاموال بل على الفقيد الحبيب

قال القاضي — لا فض فوك ياعزيزي بول فان كلامك هذا كالدر بل اعظم منهُ ولم يبق عندي ريب في شجاعتك وشهامتك وثباتك فان نفسك سودتك وعلمتك الاقدام بمدة بضعة ايام وقد صح حذري فيك وما خابت ثقتي في همتك ولكن دعني وشاني فلابد لي من السعي والاجتهاد لحفظ حقوقكم في ميراث والدكم

فقالت لهُ كونستانس انك اطنبت كثيرًا يا حضرة القاضي بمدح بول حتى جعلتني افتخر واعتز بكونهِ ابني

فنهض المسجل بريسون قائلاً . اسمحوا لي ايها الاصدقاء بالذهاب لان عليَّ زيارة فاذا لم تطل مدتها عدت اليكم فاستودعكم الله الان وان لم اعد اليكم عاجلاً نجتمع في منزلنا يوم الاحد فهل عندك وصية انقلها للويزا يا شارلوت . فقالت اكرم عليَّ بنقل تحياتي وسلامي اليها مع لثم وجنتيها

القاضي . وانت يا بول ماذا تريد ان اقول للويزا من نحوك فاحمر وجه بول خجلاً وقال لهُ وهو مطرق بالارض لا شيء يا سيدي . فقالت كونستانس للمسجل قل لها اننا نحبها حبًا خالصًا ونودها ودًا ثابتًا . فاجابها القاضي وهو محدق ببول انها تعلم ذلك بتاكيد ولكنني ساعيدهُ عليها فتزيد شكرًا لصداقتكم ومحبتكم

الفصل السابع

الاصدقاء روح للاجسام بل دواء للاسقام فهم لذة الدنيا لا يعذب العيش الا معهم ولا يطيب بالبعد عنهم وقد قال الشاعر العربي فيهم

اخاك اخاك ان من لا اخًا لهُ كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحِ

فمنهم السمير والنديم والسليم والسقيم وهم على طبقات ينقسمون ثلاث الفئة الاولى وهي تشمل اصحاب الرخاء واخوان الصفاء يفدونك بالارواح حينما يشمون منك

رائحة الاصفر الوضاح فاذا اتاك البلا وداهمك الشقاء نبذوا الصدقة والوفا وسلقوك بالسنة حداد كانك افسدت البلاد واذيت العباد وهولاء كالاعداء لا ضرورة لهم ولا نفع ياتي من جانبهم والفئة الثانية تجمع الاخوان المراوغين بل الثعالب المخاتلين فهولاء ما صاحبوك الا لينهبوك وما مدحوك الا ليسلبوك اذا حضرت قالوا جاء البطل المقدام وان غبت قالوا ذهب النغل ابن اللئام يظهرون لك المحبة والمودة ويعملون على ايقاعك في الشدة وهولاء هم الذين قال فيهم الشاعر

الا انّ اخواني الذين عرفتهمْ افاعي رمال لا تقصرُ عن لسعي
ظننتُ بهم خيرًا فلما بلوتهم حللتُ بوادٍ منهم غير ذي زرعِ

والفئة الثالثة لم ينتظم في عقدها الجوهري سوى النزر اليسير ممن جبلوا على الوفاء وشبوا على الحفاظ على الود والثبات على العهد منهم ندماؤك في الرخاء وعمدتك في الشقاء واصدقاؤك في السراء واعوانك في الضراء لا يبعدهم عنك الفقر ولا يدعوهم ذلك الى مقابلتك بالهجر فسقيا لهم من احباب هم روح المحبة وبورك في صداقتهم ما اعذبها واحلاها وما الطفها واندّاها فالصديق المتحلي بهذه الصفاتُ يذكر ولا ينظر بل هو اندر من الكبريت الاحمر وقد

سألتَ الناس عن خلٍ وفيٍ فقالوا ما الى هذا سبيلُ
تمسك ان ظفرت بذيل حرٍ فان الحرَّ في الدنيا قليلُ

قال الراوي — وكان المسجل بريسون من الفئة القليلة العدد يفدي صديقهُ بالنفس لا بالنفيس ويبذل في رضاه حياتهُ ومقتناه فما بارح عائلة صديقهِ روبرت لزيارة احد اصدقائهِ كما قال تمويهًا ولكنهُ حالما صار في الطريق ركب احدى العجلات واشار الى قائدها ان يذهب بهِ الى قصر الحقانية وما دعاه الى ذلك قضاة الحقانية ولكنهُ ذهب لزيارة احد القضاة من اصحابهِ لاطلاعهِ على افكاره بشان هذا المقتل مساعدة لهُ على كشف الحجاب عن القاتلين . وكان هذا القاضي يدعى الموسيو اوبري . اما قضية مقتل روبرت بك فانهم بحثوا

وحققوا فيها في مدة الخمسة عشر يومًا وسنذكر بحثهم للقارىء اللبيب عاجلاً ولا بد لنا من وصف قاعات قضاء التحقيق . فنقول . ان قاعاتهم واقعة في داخل قصر الحنانية ولكلٍ منها باب يؤدي الى ممشى معدّ لانتظار الشهود وفي مدخل كل قاعة فسحة يدخل فيها المتهمون بذنب يكتنفهم الشرطة فيلبثون فيها الى ان يدعوهم القاضي فحالما وصل المسجل بريسون الى مدخل قاعة صاحبه دفع بورقة مطبوعة باسمه تسميها الفرنجة (كارت دي فيزيت) الى الخادم فاخذها ثم عاد اليه ودعاه الى الدخول فدخل قاعة واسعة لها نافذتان ترى منها قاعة اخرى فيها ادوات الكتابة وعلى نوافذها ستائر خضراء وفيها بعض الكراسي ومكتبة تسع كاتبين في وسطها فاصل من طبقات خشبية توضع فيها الاوراق وكان القاضي جالسًا عن يمينها وكاتب المحكمة الاول في شمالها ووظيفة هذا الكاتب مقصورة على كتابة تقارير المتهمين الشفاهية التي يامر القاضي بكتابتها . ولم يكن عند القاضي احد حين دخول الموسيو بريسون وكان (اي القاضي) من الرجال المنصبين على الاشغال ولم يكن ليتاخر عن الحضور قبل الساعة المعهودة للاطلاع على القضايا وفحصها بنفسه والتدقيق في التقارير المقدمة له من المامورين التابعين له فلما دخل عليه الموسيو بريسون حياه قائلاً اهلاً وسهلاً بالموسيو بريسون الحبيب هل انت زائري اليوم بصفة صاحب او بصفة صاحب قضية

فاجابه الموسيو بريسون اني آتٍ اليك بالصفتين معًا

فقال القاضي — فلندع الان التكليف اذ لا محل له هنا فاذا كانت زيارتك لي بقصد قضية فقل لكي اطلب كاتبي الاول ليسمع اقوالك

وكان هذا الحديث من قاضي التحقيق على سبيل المزح فاجابه عليه الموسيو بريسون قائلاً دع ذكر كاتبك واتركه مشتغلاً بقراءة صحف الاخبار اذ لي معك حديث مهم قال القاضي . فليكن لك ما تريد

فقال له المسجل — انك لا شك عالم بما شغل افكاري ودعاني الى القيام من

النوم باكرًا والاتيان اليك لعلمي انك ممن يصحون من سنة الرقاد عند السحر فتهب الى درس القضايا وفحصها ولست مثل غيرك من الذين يقضون الصباح في الغابة والمساء في الاوبرا بل لا شيء يهمك اكثر من الاشغال

القاضي . امتدحني ياحضرة الصديق لا شك ان لك مقاصد خفية ولكني ارجوك ان تكون على حذر لان في الشرائع بندًا للاقتصاص من الذين يغشون الموظفين

المسجل — لم اعدك ياصديقي العزيز بهدية او تقدمة او رشوة او غير ذلك من المنصوص في البند الذي اشرت اليهِ

القاضي — صدقت فانك اقتصرت على التملق والمديح وهما واسطتان للغش اقوى من سواهما وان كان القانون الجنائي لم يأت على ذكرهما ولكن دعنا من هذا الكلام وقل لي ما سبب مجيئك عندي في هذه الساعة

المسجل — ما جئت الا للاطلاع على مجرى تحقيق قضية مقتل روبرت بك والاستعلام عما اوصلكم البحث اليهِ لانك لا تجهل حبي للمرحوم وعائلتهِ التي احرمت من ميراثهِ

القاضي — اتريد بذلك معشوقتهُ واولادها

فاظهر المسجل نفوره من هذا الكلام ثم عاد القاضي الى حديثهِ فقال لاتؤاخذني ايها الصديق لاني استعملت الالفاظ القانونية التي كان يستعملها الرومانيون وذوو الافكار الحرة والكنيسة ايضًا قبل مجمع ترانت ولا اجد امامك اعتباري ومحبتي لعملائك

المسجل — ليسوا عملائي ياحضرة القاضي بل اصدقائي

القاضي — صدقت فاني اعلم محبتك لهذه العائلة

المسجل — اني احبهم جدًا ويهمني امرهم اكثر من امر نفسي

القاضي — وهل هذا هو السبب الوحيد لاهتمامك

المسجل — نعم ياسيدي

وكان القاضي يقطع بعض الاوراق بمدية و يسرق المسجل بانظار خفية ليستكشف باطن سره من ظاهر وجهه و بصره فقال له وقد احدق به هل صحيح ما نقول

فاجابهُ — نعم

القاضي — وما وراء قصدك

المسجل — ما وراء قصدي سوى الاستكشاف عن مهارة القضاة وهل هم حازمون كما افادنا بذلك اصحاب الروايات والقصص

القاضي — افتقرأ الروايات ياموسيو بريسون

قال المسجل — لما لا اقرأها وهل تظن اني قاصر على مطالعة قوانين المسجلين

قال القاضي — حاشا لي ان اظن فيك ذلك فانك قد درست قوانين المسجلين منذ زمن طويل وتعلم جيدًا الشرائع والقوانين

المسجل — لقد اطنبت في مدحي

القاضي — واحدة بواحدة

المسجل — لا بد لي يا ايها الصديق من الاقرار لك بما خالج صدري من الافكار

القاضي — ونعم العمل فانك لا تجهل ان لي ٢٣ سنة في وظيفة القضاة فلن يخفى عليَّ شيء اذا رمت معرفتهُ

المسجل — اني لمسرور من ذلك ياصديقي او بري فربما قد اكتشفت على شيء في قضية روبرت بك

القاضي — ظننت في اول الامر اني كشفت البرقع المسدول ولكني تحققت خيبة ظني

المسجل — وهل حبطت كل الامال

القاضي — لا شك في ذلك

قال المخبر ثم اخرج القاضي أوبرى ورقة من احدى المجموعات وقال . هذا هو تلخيص سيرة سسيل شامبلي ارملة شارل روبرت الشرعية منذ سفره الى تونس وهو يثبت ما اشرت اليهِ يوم اتت هي وابنها القصر بتيت لوج وقد ظهرت من اوراق الدعوى ان سسيل شامبلي كانت قبل زواجها بهوى فتى يدعى سيلفين دسدوريد المولود في اميريكا ووجج في فرنسا لغاية لا تعلم اما سسيل فانها انكرت هذه المسالة مدعية ان ابنها الحالي هو من روبرت شرعياً وقد ادعت كذباً ان سيلفين دسدوريد المذكور اتاها في صباح الغد من يوم زواجها ليطلب منها خطاباتهِ التي ارسلها اليها

فقال الموسيو بريسون . كذبت والله في قولها لان شارل روبرت هو اعزّ اصدقائي واحبابي وقد اعلمني انهُ تاكد خيانتها بعينهِ وزد على ذلك ان الخطابات التي وقعت في يده تثبت ذلك بالبيان والبرهان وقد قرأت هذه الخطابات فرايت فيها من الوقاحة والجسارة ما تعجز عنهُ القلوب البشرية وظهر لي منها ايضاً ان العاشق كان لصاً والامراة سارقة زانية وما كان قصدها سوى سلب اموال روبرت (التي كانت كلها اوراق بنوكة تدفع لحاملها) والمهاجرة الى فرنسا ولكن من نكد الحظ اعدم صاحبي هذه الخطابات نظراً المعار الذي تلحقهُ بي وبشرفهِ

فاجاب قاضي التحقيق — لا يبعد ان يكون ما تقولهُ صحيحاً ولو لم نقم عليهِ ادلة ثابتة وحجج دامغة في موقف الجدال وساحة التحقيق والبحث لان الموكد عندنا ان مجلس الجنايات برأ ساحة روبرت بك من جريمة قتلهِ شخصاً يدعى سيلفين دسدوريد ومن محاولة قتل امراتهِ ولكن اسباب هذه التبرئة لم تزل مجهولة لان اثار اوراق هذه القضية قد محيت ومن المحتمل ان يكون المجلس الجنائي قد حكم بناء على الاخبار الواقعية الاكيدة التي طرقت مسامع رجالهِ فحكم ببراءة ساحة روبرت وبما ان المجلس المذكور لا يحكم في امر الابناء على طلب ما فلم يجحد ابن روبرت بك ويحرمهُ من الميراث لان اباه لم يطلب ذلك

و بعد سفر روبرت بك لبست سسيل شامبلى الحداد وعاشت منفردة عن العالم ومعها ولد تثبت له دفاتر المدنية انهُ بن روبرت بك ثم نبذت الانفراد وعولت على الزينة والمصاريف الباهظة حتى صرفت ما تركهُ لها زوجها من الاموال وحينئذ دخلت في مصاف نساء الجمال والدلال ولو كانت الصحف تنقل تفاصيل الاحاديث والاخبار من سنة ١٨٥٦ الى ١٨٦٠ لكانت مراجعة الجرائد كافية لاطلاعنا على سيرتها . وفي احد الايام بارحت باريس مرافقة احد اللوردية الى لندرا فلبثت فيها مدة سنة شغلت فيها افكار الناس بزينتها وجسارتها وسلوكها ولما مات الانكليزي دخلت في فريق من مشخصي الروايات وسافرت معهُ الى اميريكا وهنا لا نعلم ماذا جرى لها ولكنني كتبت الى اميريكا للبحث عن سلوكها ولو استغرق ذلك زمناً طويلاً . واخيراً عادت الى باريس مع ابنها منذ ستة اشهر ومعهما رجل من امريكا يدعى ماكس ريويل يدعي انهُ صديق الفتى فسكنت الام وابنها في سكة (فولينتين) وسكن الاميركاني في سكة (برتولة) اي وراء منزلها وقد جهلنا ايرادهم وكل تفاصيل معيشتهم ومنذ ثلاثة اشهر اختفى ماكس ريويل ولم يعلم مقره ولكني متاكد بانهُ لم يرجع الى اميركا لان المنزل لم يزل في ايجاره وانا مجر البحث عليهِ

قال القاضي - وكل ما ذكرتهُ لك لا يلقي التهمة على هولاء الاشخاص الثلثة ولكن التحقيق لم ينتهِ بعد اما ريبنا في كونهم اصحاب الايدي التي فتكت بروبرت بك فقد كذبتهُ الاخبار التي علمناها

المسجل — ان ذلك مما يسوء ولا يسر

القاضي — نعم ان ذلك محزن لاصحابك ولكن لم اخبرك بكل ما اعلمهُ

المسجل — وماذا عندك من الاخبار

القاضي — قد اكتشفنا على اثر واقعي موءيد بالبراهين القوية واظن اننا وقفنا على القاتلين الحقيقيين

وكان المسجل بريسون قد قطع الامل من وجود القاتلين فلما سمع هذا

الكلام عادت اليهِ جيوش الامال فعززت جانبهُ بعد ان هزمتهُ ابطال اليأس والقنوط ثم عاد القاضي الى الكلام فقال للمسجل لا اقدر على ايقافك على هذا القرار الاول الا اذا اعلمتك بانك حاضر هنا للمقابلة والمناظرة ولا حاجة لي ان احرضك على كتم الاسرار

المسجل — هل تشك في مسجل

القاضي — لا اشك في ذلك رازيد على كلامي الاول ان احد اقسام الحالة لم يزل مسدولاً عليهِ ستار الكتمان والظلام الا وهي غيبة الخادم دومينيك قائد عربة روبرت بك وقد جهلنا ما حصل بهِ وهل مات ام هو باق على قيد الحياة وقد ذهب سعينا في الاطلاع على هذا الامر هباءً منثورًا

قال الراوي . ودعا القاضي اوبرى كاتبه الاول فدخل وجلس امام مكتبة بدون ان يتفوه بكلمة ثم دق القاضي الجرس وامر باحضار المتهمين فلم تمض بعض ثوان حتى برز رجلان تخفرهما الحراس وقد تقيدت ايديهما

الفصل الثامن

ثم تقدم احد الرجلين الى القاضي والشرطي يسوقهُ امامهُ كالنعجة وكانت هيئة وجههِ تدل على كونهِ من السائلين الشحاذين وكان متردياً بطيلسان كطيلسان ابن حرب وقد تمزق لباسهُ شذر مذر وصارت ملابسهُ عبرة لمن اعتبر وعلى راسهِ قبعة من اللباد كانها بقايا عاد بن شداد وقد تغير لونها من كثرة الدسم والتراب الذي تلبد في اركانها وغطاها ودلت ظواهر هذا الرجل انهُ بالغ من العمر من الستين الى السبعين اما شعر راسهِ فانهُ كان مسترسلاً خصلاً على ذقنهِ فاختلط بها اختلاط الحابل بالنابل ولهُ حاجبان غليظان وجفون مخنية تحت اثقال الاوساخ مفتوحة قليلاً كجفون المومى وهو طويل القامة نحيف الجسم خشن العظم واكتافهُ مخنية خوفاً ورهبة وتظهر عليهِ علامات القوة التي يندر وجودها مع المتقدمين في السن

ولما قدمهُ الشرطي وقف منحني الظهر فوضع الشرطي يده على كتفهِ وضغطهُ

على الارض فجلس وقال بصوت جهوري بعد ان وضع يديهِ على صدره علامة السلام مالوفة عند قوم اهدر والبهلوانات

ابن نحن يارفيقي روسينيول

فاجابهُ صاحبهُ . اني لاجهل ذلك ياصديقي ولكني اظن اننا امام حضرات القضاة النبلاء حيث تتضح براءتنا امامهم

ثم سلم على القاضي ثانيًا قائلاً لهُ انا بيض كالثلج ياحضرة القاضي

فقال القاضي اصمت ياهذا . ولكن باسرو لم يعبأ بكلام القاضي بل اجابهُ قائلاً اسالك العذر ياجناب القاضي اذا لم ارفع القبعة احترامًا لك واجلالاً لمقامك لان هذا القيد الذي وضعتموهُ في يدي يمنعني عن ذلك

فقال لهُ روسينيول — اصمت فان سيدنا امر بالسكوت وكان لون روسينيول هذا اصفر من الماء الاصفر بعينين تقدح منهما الشرر ولهُ ذقن طويلة وشاربان كبيران وملابسهُ ممزقة كملابس صديقهِ واما سنهُ فانهُ لم يكن اقل من الثلاثين ولا يزيد على الخمسين

فاحدق القاضي والمسجل ببصريهما في هذين الرجلين اللذين اعتقد فيهما الموسيو اوبري اللصوصية والجاسوسية ثم عمد الى التفتيش بالاوراق وهو يسارقهما النظر ليرى ما سيكون من امرهما . اما هما فقد قبضت عليهما الشرطة بين شوازى لي روا وادرلي في احوال تلقي عليهما الشبهة القوية ولما سالهما مفتش شرطة شوازى لي روا على انفراد قالا ما لا يتناقض ولا يتخالف ولكن الاحوال التي وجدا فيها تثبت عليهما الشبهة ولا تجعل لهما سبيلاً للبراءة فلهذا السبب راى قاضي التحقيق ان دعوتهما على انفراد لا تفيد فائدة ولا تعود بعائدة فدعاهما سوية ولكنهُ ابعد الواحد عن الاخر حتى لا يتفقا على سلوك طرق الضلال المبين وكان الشرطة واقفين لهما بالمرصاد فلا يدعونهما ينظران الى بعضهما

فقال القاضي — اليك اوجه الكلام ياباسرو

باسرو — اني مستعد لاوامرك ياحضرة القاضي

القاضي — انك تدعى ادونيس باسرو ولدت في سنة ١٨١٠ في بلدة دوردان من مقاطعة سين واز.

باسرو — نعم ياحضرة القاضي المحبوب

القاضي — لاتقطع حديثي . ثم لما بلغت سن العشرين دخلت في سلك متطوعة الحملة الاولى التونسية وبقيت مدة ١٤ سنة في افريقيا

باسرو — كنت في الصف العاشر بوظيفة قائد عشرة في الاي (كريناديه) وقد جرحت ثلاث مرار واخذت شهادتين بحسن السلوك حسب القواعد العسكرية

القاضي — نعم ان سلوكك كان حسنًا جدًا اثناء اقامتك تحت اعلام القتال

باسرو — وبعد ذلك ايضًا

القاضي — وبعد ذلك عدت الى فرنسا منفصلاً عن الجيش وكان سنك ٣٥ سنة فاحترفت حرفًا كثيرة كبناء وخادم وما اشبه ذلك

باسرو — وماذا افعل اذًا ياحضرة القاضي أكان من الواجب ان اتجول في الازقة مدخنًا من التبغ العزيز الثمن

القاضي — ان العمل واجب على كل انسان فاعلم ذلك ولا تجهله

باسرو — لا ياحضرة القاضي ان الشغل ليس بمفروض على كل انسان فمثلي مثلاً مخني الظهر لا يقدر على الشغل بخلاف الشاب فانهُ قوي لا يبالي بالعناء والتعب

القاضي — واخيرًا دخلت في معمل شوازي لي روا

باسرو — نعم دخلتهُ براتب يومي قدره ٣ فرنكات ونصف بوظيفة موقد للنار

القاضي — وهنالك عاقرت ابنة الكرم وحالفتها وصرت لا تقدر على فراق ضباها ولا تستنير الا بسناها ولا تستنفح غير شذاها حتى اضطر صاحب العمل ان ينكث العهد ويقابلك بالطرد

باسرو — أأنا ثملان . . . حاشاك ياسيدي . . . نعم ان ايقاد النار يجعل جسم الانسان كالشرار ولكني كنت اطفي عطشي وولوعي بالماء الزلال لا ببنت الحان وما طردوني من مصلحتي الا لكوني كبرت وشخت و بلغت من السن ستين وبالحقيقة ان الانسان متى كان شابًا يقبلونهُ في كل مكان ومتى شاب قالوا ان الشيب عيب ولو زان فهل تعتقد في ذلك ياحبيبي القاضي

القاضي . ومنذ ذلك الزمن قطعت عليك اسباب المعاش ولم يبق لك بيت ولا فراش

باسرو — وكيف قطعت عني اسباب المعاش وانا لم ازل بعد على قيد الحياة . . . . ألا تعلم مهنتي

القاضي — وما هي مهنتك

باسرو — العمى ياحضرة القاضي المحبوب

القاضي — ماذا تقول هل العمى حرفة يشتغل بها

باسرو — في بعض الاحيان يامولاي فان الضرورات تبيح المحظورات واما البيت والفراش فعندي مائة بيت ومائة فراش لاني اي بيت دخلتهُ بين شوازى لى روا وفيليانوف يظلني فاشرب منهُ ماءي وآكل زادي كأنَّ اصحابهُ انصاري واولادي

القاضي — واين هذه البيوت

باسرو — هذه البيوت ياحضرة القاضي هي الغابة في الصيف والمغائر والكهوف في الفصل الجائر على الفقير (الشتاء) فلا تتوهمن بي سوءًا ياحضرة القاضي فان كل من عرفني يشهد لي بحسن السيرة والسريرة فانا آكل هنيئًا واشرب مريئًا وانام كثيرًا ولو توسدت ترابًا او حصيرًا

فنظر القاضي الى رفيقهِ روسينيول الذي كان واقفًا يكتنفهُ الحرس وقال لهُ اليك اوجه الخطاب فاشار اليهِ روسينيول بالتحية : قائلاً

ان اسمي روسينيول بلا لقب لا اعلم لي ابًا ولا امًا ولا محل مولد . . . ومهنتي

تربية الحيوانات وعرضها على انظار الناس لاحصل منهم ما يقوم بأودي وكنت فعالاً للخير لااترك فرصة الا انتهزها قائمًا بمساعدة الاخوان واذا رمت الاطلاع على اوراقي ترى اني سالك بالاستقامة كما يشهد لي بذلك مشايخ القرى والشرطة وكل المتسلطين

قال القاضي – ان الاوراق التي وجدت معك تثبت مهنتك التي ذكرتها ولكنها لاتشير مطلقًا الى سلوكك منذ ثمانية اشهر فاخبرني عن كيفية وجودك مع باسرو حين قبضت عليكما الشرطة

روسينيول . ان هذا الامر جلي واضح فقد كان عندي كلبان علمتهما اللعب واضفت اليهما نسناسًا صغيرًا فكانت من اعظم اصحابي وانفسهم وكنا نتقلب على بساط الهناء ففي احد الايام كنت في فيليانوف لي روا فسمموا كلبيَّ بدعوى خوفهم من داء الكلب فلم يستطع النسناس ان يعيش بعد فقد حبيبيهِ بل مات حزنًا عليهما واسفًا على فراقهما . . . فضاقت بوجهي الارض خصوصًا وقد داهمني فصل الشتاء بلياليه المهولة وصب عليَّ سيولهُ ولعبت بي ارياحه وزوابعهُ وفي ذلك الحين قابلت باسرو الذي كنت انظره في الاعياد والمواسم وهو رجل صافي النية ياحضرة القاضي . فقال لي ياروسينيول – انك معتاد على عرض الاشياء لمرآى العموم فاشترك معي وقدمني لهم عوضًا عن كلابك واخبرهم بخبري بنوع يحرك شفقتهم وحنوهم وقل لهم عن خدمتي العسكرية وحريقة موسكو وثلج برزينيا والاستيلاء على بلاد الجزائر وغير ذلك من المواقع التي حضرتها والمعامع التي خضتها ومتون الاهوال التي ركبتها واجعل كل ذلك قصة او رواية ترويها لهم لتحرك احساساتهم . فقبلت بما رغبهُ صاحبي وصرت افعل ما يأمرني بهِ واستعضت عن كلابي بغيران فربيت منها جرذانًا اخذت باسباب النباهة والحيل فكنا نعيش انا وباسرو من تقدمتها لمنظر الناس الى ان قبضت علينا الشرطة فوا نكد حظك من الدنيا ياباسرو ومن اين نعيش عند خروجنا من السجن فواهفي على لقاء جرذي

قال الراوي — وكان الرجل ينطق بهذا الحديث بصوت بسيط لا يشوبهُ تكلف او تصنع حتى أثر الكلام بالمسجل بريسون واعتقد ان السائلين بريئان مما نسب اليهما . اما القاضي فانهُ لم يشفق عليهما ولا رثى لحالهما بل قال لهما اني علمت وتيقنت انكما سائلان متجولان قد تعودتما الكذب والجرائم حتى توصلتما الى ذنب القتل الذي لا يغفر

فصرخ الرجلان — حاشا لنا يا حضرة القاضي المحبوب

القاضي تعلمان انكما متهمان بسرقة وقتل روبرت بك في الحرش التابع لقصر بتيت لوج وقد ارتكبتما هذا الاثم الفظيع في الليل البهيم

قال روسينيول — سبق لنا القول الشارح لبراءتنا فعلى من وجه الينا نبال الشبهة وصوّب نحونا سهام التهمة ان ياتي بالبراهين والحجج المويدة لدعواه

قال القاضي — ان هذه الحجج موجودة مسندة لا ريب فيها

فقال باسرو لرفيقهِ — هل سمعت يا روسينيول فاجابهُ هذا نعم سمعت

القاضي — أجيباني اولاً اين كنتما حين قتل روبرت بك اي منذ خمسة عشر يومًا في الساعة العاشرة ليلاً

فاجابا — اننا كنا في حرش بتيت لوج في مكان يدعى فال بالقرب من مزرعة الاخوين سيمون

القاضي — وماذا كنتما تصنعان هنالك

الرجلان — ذهبنا هنالك للمبيت كعادتنا الجارية فان في ذلك المكان خيمة مضروبة نتفيأ ظلها ونستتر بها وفي تلك الليلة كانت الريح ثقيلة فقصدنا الخيمة ولجأنا اليها

القاضي — وفي اية ساعة دخلتما الخيمة

الرجلان — ان دخولنا الخيمة كان قبل سقوط الامطار وكان لون الغزالة ذهبيًا وهاجًا فصبت عينا اثقال التعب والحر نومًا ثقيلاً فرقدنا كالقتلى

القاضي — اولم تستيقظا الا في اليوم التالي

الرجلان — نعم استيقظنا عند الفجر

القاضي — ألم تسمعا صراخًا او دوي طلقات اسلحة نارية

باسرو — ماسمعنا شيئًا لان نومنا ثقيل وان كان جيبنا خفيفًا ناهيك عن مشقة الطريق واثقال المسير بالحر الشديد

القاضي — لست اتعرض الان لاسباب بل اكتفي بالاستفهام عن الوقائع فقل لي يا باسرو كيف وجدوا في جيوبك كيسًا من الذهب الوضاح ورفولفرًا حين قبضت الشرطة عليك

باسرو — ان ذلك من المستحيل فاسأل عنهُ صديقي روسينيول لانهُ ادرى مني بالكلام والحديث

قال القاضي — قل يا روسينيول

روسينيول — اخبرتك فيما سلف اننا استيقظنا صباحًا ولما كان ذلك الصباح ناشرًا الوية عطرة على وجه البسيطة والغزالة قد رمت بلعابها الى الارض وغردت الطيور على الاغصان وغنت البلابل على الافنان فصحت بالصديق باسرو هيا بنا لناكل لقمة هنيهة فاتيت بالوفاض لاخرج منهُ الزاد ولما افرغتهُ خرج منهُ رفولفر وكيس ملآن من الدنانير ولما فتحتهُ وجدت فيهِ ٢٧ دينارًا فصرخت باصوات الفرح وشرحت المسالة ازميلي فقال لي ان نفسي تحدثني منذ ازمان باكلة من السكباج اللذيذ وجرعة من ابيض النبيذ فهيا بنا الى فيليانوف سان جورج لنقضي اللبانات بصرف واحد من هذه الدنانير ولعل صاحب الدراهم الذي حبانا بها لا يغمهُ ذلك اما انا فاني عجبت من وجود الرفولفر مع النقود فقال لي باسرو

لا ريب ان مانحنا النقود خاف عليها من غوائل اللصوص فحبانا برفولفر لندافع عنها ونحميها من وثبات المفلسين هذا اذا لم تكن الدنانير زائفة فهيا بنا الى فيليانوف وهناك يصدقنا جهينة بالخبر اليقين . فذهبنا الى فيليانوف واشترينا تبغًا فقبل البائع صرف دينار من تلك الدنانير ثم ذهبنا الى محل بائع

السكباج فاكلناهنيئًا وشربنا الخمر مريئًا واخبرنا الناس بما وجدناه من التحف

قال باسرو — وذلك يؤيد براءتنا ياحضرة القاضي فاجابهُ القاضي — ان نتائجكما فاسدة بفساد مقدماتكما وكذب روايتكما وما انتما الا خادعين منافقين والرفولفر الذي وجد معكما هو الذي قتل بهِ روبرت بك لان وزن رصاص هذا والرصاص الذي اخرج من جثة روبرت بك هو واحد واما الكيس الذي اخذتماه فهو كيس روبرت بك بلا خلاف وقد استوليتما عليهِ بعد ان فتكتما بصاحبهِ وبقائد المركبة ولا شك فيما قلتهُ لكما لان هذا الكيس مصنوع في تونس فهل تعلم ذلك ياروسينيول

روسينيول — نعم

وفي ذلك الوقت اقترب المسجل بريسون من القاضي وفحص الكيس ثم اعاده الى صاحبهِ

قال القاضي — ان الحديث الذي اخبرتماني بهِ لفي غاية من البراعة والمهارة وتلوح عليهِ بعض علامات قريبة للصدق في الظاهر ولكن الحقيقة بعكس ذلك فلا بد من وجود سببين لوقوع الرفولفر والدنانير في ايديكما الاول وهو الاصح انكما القاتلان والسارقان والثاني وهو بعيد عن الصدق ان اللصوص بعدما قتلوا روبرت بك اتوا بهذه الاشياء ووضعوها في وفاضكما لتضليل الحكومة عنهم والقاء الشبهة عليكما وهذه المسالة تستوجب امرين اما ان يكون السارقون من الاجانب وهولاء يستحيل عليهم معرفة الغابة ومكانكما منها واما ان يكونوا من الاهالي وذلك امر لا يصدق لان روبرت بك كان رجلاً شجاعًا همامًا محبًا للخير والاحسان لايخيب سائلاً ولا يطرد فقيرًا ولو فرضنا صحة الامرين فكيف يمكنهما الدخول الى خيمتكما في الظلام الحالك حتى وضعا في وفاضكما الكيس والرفولفر بدون ان تستيقظا

فاصبح الرجلان عند ذلك صاغري الرؤوس لا يبديان حراكًا

فقال روسينيول — نعم ياسيدي القاضي ان الاقدار صبت علينا غوائل

البوار وحصرت فينا الشبهات وقد قلت ان روايتنا حاوية من البراعة ما يقربها من الحقيقة وانا اجيبك ان براعتها ليست الا كونها مسندة الى الحق والعدل فلو كنا السارقين على زعمك لما تركنا معنا السلاح الذي قتلنا بهِ الرجل ولما ابقينا في جيوبنا الكيس الذي سرقناه ولو كنا ماهرين كما تقول لما اظهرنا الذهب امام العموم بل كنا نخفيه ونصرفهُ بالتقتير والتوفير حتى لا يكشف حالنا فانظر كيف فعلنا ضد ذلك

القاضي — ان سلوككما هذا السبيل هو بعينهِ مما يثبت لكما المهارة والبراعة وانا اشير عليكما بان الاوفق لكما عدم الاصرار وابدال الانكار بالاقرار

فصرخ روسينيول قائلاً — اني ملعون ومخجول ومنكود الحظ وصعلوك ولكني لست سارقًا ولا قاتلاً

القاضي — وهل لن تزالا مصرين على الانكار

روسينيول — نعم لا اقر ابدًا بما ليس فيَّ

القاضي — وانت يا باسرو

باسرو — لا اقول الا كما قال رفيقي

فاشار القاضي الى الشرطة قائلاً خذوهما الى السجن

فقال روسينيول — عندي كلام اقولهُ لك يا حضرة القاضي قبل ذهابنا للسجن

فتبسم القاضي أوبري وقال لهُ هل عزمت على الاقرار

روسينيول — كلا

القاضي — وماذا تريد ان تقول

روسينيول — اذا كنا القاتلين فلا بد من ان نكون قد سرقنا او اشترينا الرفولفر المذكور فليبحث اذًا عن صاحبهِ او بائعهِ فتظهر براءة ساحتنا لاننا ما اشتريناهُ ولا سرقناهُ

القاضي — سنبحث عن ذلك فهل عندك شيء اخر

روسينيول — لاشيء عندي ولكن القاتلين اثنان على ما سمعت وقد اطلقا الرصاص على روبرت بك بوقت واحد ثم على خادمهِ فهل ذلك صحيح

القاضي — وماذا يهمك ذلك

روسينيول — يهمني ان اسالك ابن الرفولفر الثاني اذا كان القاتلان اثنين وقد اطلقا بوقت واحد.

القاضي — كان في امكاني ان لااجيبكما ولكن جسارتكما قد تعدت الحدود ووقاحتكما طفحت الكيل وها اني ادحض دعواكما لان الرفولفر الثاني موجود

روسينيول — اذا كان القاتلان اثنين فزميلي باسرو اعمى فكيف يصحُّ انهُ يطلق الرصاص على رجلين و يصيبهما

وكانت هذه الحجة قاطعة لا ترد فقام القاضي وصار يمشي في القاعـــة وقال لروسينيول ان كلامك في محلهِ فقال لهُ روسينيول . وهل تعترف ببرأتنا ياحضرة القاضي

قال الراوي وفي تلك الساعة رمى القاضي بدينار الى الارض بخفة فلم ينظره احد سوى باسرو الاعمى فانهُ فتح عينيهِ وتتبع سيرا لدينار الى ان اقترب منهُ فانحنى لياخذه ولما راى ان القاضي لمحهُ اغمض عينيهِ واغلق جفنيه مفضلاً العمى المنقذ على النظر المهلك فتجلى روسينيول وتبسم قاضي التحقيق وقال . هذا هو البرهان الكافي على كون باسرو ليس باعمى وقد كنت عالمًا بذلك ولكن معرفتي بعنادكم حملتني على استعمال الحيلة والدسيسة للاكتشاف على الحقيقـــة فالان قد فاز الحق وزهق الباطل ولم يبقَ من شك في كونكما قاتلي روبرت بك

فحبطت امال روسينيول وقال — ان باسرو غشني ياحضرة القاضي بقولهِ انهُ اعمى ولكني اوكد لك اننا بريئان

فقال الاعمى — سامحني يارفيقي العزيز فاني غششتك وغششت الانفس الفعالة للخير استجلابًا لخيرها ولكني ما غششت احدًا في غير هذا الباب واما تهمتي بالاشتراك بالقتل فهي كاذبة ولو علقوني على المشنقة لما قلت لهم اني قاتل

فامر القاضي باعادتها الى السجن فاعيدا ولبث بحضرتهِ الموسيو بريسون فسالهُ هل رايت هذين السائلين اثناء ذهابك لقصر روبرت بك

المسجل — لم انظرهما قط

القاضي — وهل لمحت حيلة روسينيول الشقي الذي اوقع صديقهُ لينقذ نفسهُ ولكن هيهات ان اصدقهُ

المسجل — وهل انت معتقد باشتراك هذين الرجلين بالقتل

القاضي — نعم وانت ما رايك

المسجل — اني في ريب من ذلك

القاضي — ذلك كونك ما اعتدت مثلي على استماع اقوال اللصوص ووقاحتهم في عدم الاقرار بالذنب واصرارهم على الجحود ولكن عندنا من الوسائط ما يقرر الرجلين فلا يمضي اسبوع الا يقر احدهما بالذنب املاً بالخلاص

المسجل — اني اذكرك ياصديقي بكون التحقيق لم ينجل للان عن ....

القاضي — نعم انهما لم تتم للان فعلينا الان ان نجد دومينيك ونخبر الرفولفرين لنعلم اين صنعا وعلينا استماع جملة شهود ولكننا قد قبضنا على الفاعلين وذلك اهم من الجميع

المسجل — ولكني انبهك ايضاً لكيس الدراهم الذي وجد مع الرجلين فانهُ ليس كيس روبرت بك ومع ذلك فقد نظارت كيس دراهمهِ قبل سفره الاخير فرايتهُ مختلفاً عن هذا

القاضي — ماذا تقول يابريسون

المسجل — ان ما اقولهُ هو الصدق بعينهِ وميتهِ

القاضي — وماذا يهمنا ذلك فان على هذا الكيس علامة معمل تونس فمن يحوز عليهِ الا روبرت بك الذي حضر من تونس منذ اقل من سنة

المسجل — ولكن كيس النقود الثاني ماذا جرى بهِ

القاضي — سنبحث عنهُ ونجدهُ وانا اشكر فضلك فانك ذكرتني بهذا الامر

المهم فاستودعك الله الان

فخرج الموسيو بريسون من قصر العدلية وتحير بما يعمل وقد انقطع املهُ وصارت افكاره تدفع بهِ تارة الى عدم الرجوع الى بيت ارملة روبرت بك واونة تحركهُ الى العود اليهِ والعود احمد فعول على هذ الراي الاخير وقال في نفسهِ انني رمت ان القي السرور في بيت روبرت بك فبذرت فيهِ آمالاً تختنها اشواك الحقيقة فعليَّ بتدارك الامر قبل ان يكبر الامل فلا نقدر على قطعهِ الا بعد الياس والملل فركب عربتهُ وقال للقائد خذني الى سكة كاترفيس ولما دخل البيت لم يرَ سوى بول وشارلوت فعجب من غياب كونستانس وقال لبول وشارلوت مخاطبًا .

وعدتكما بالعود والحر يخجز وعده ولكني اسف لاني لست بحامل اليكم اخبارًا جيدة وقد برهن لي بول عن حكمة ورزانة عظيمة بقولهِ اليوم انهُ لا يعول الا على العمل فمستقبلهُ وقف على عملهِ

ثم خاطب بول قائلاً . . ان قولك اصاب وقولي لم يصب فاعذرني ياولدي لان محبتي لكم جعلتني ان ابني على الوهم قصورًا شاهقة لا وجود لها الا في عالم التصور

قال الراوي — ولم يرد بول ولا اخته للمسجل جوابًا وما خاطباه بخطاب فقال لهما لا يهمكما هذا الحديث . فاجابهُ بول عذرًا ياحضرة المسجل فان افكارنا مشغولة وبالنا مبلبل

المسجل — وابن كونستانس

بول — ما تبلبل بالنا الا عليها

المسجل — عاجلاني بالخبر اذا

بول — قد مضت علينا ياسيدي نصف ساعة بعد ذهابك انقتنا في لجة الحيرة والقلق العظيم

القاضي — على كونستانس

بول ـ نعم ـ قد احضر الخادم تحريرًا لنا معنونًا لبنيت لوج ولما كانت البوسطة عالمة بوجودنا في باريس ارسلتهُ لنا وعلى مغلف هذا الخطاب عدة اختام من البوستات التي مر بها فاستلمتهُ والدتي وما قرأت العنوان حتى صارت في هياج شديد وفتحتهُ بايد راجفة وبعد ان قرات منهُ بعض السطور خرت مغشيًا عليها فاسندتها واقمتها بينما كانت شارلوت تحضر الروائح المنعشة المنبهة فقصدت ان اقرا الجواب فلم تمكني من اخذه ولكني خشيت عاقبة الامور وقلت لابد لي من الاطلاع على هذه المصيبة الجديدة التي نزلت علينا فاخذت الرسالة وحاولت قراءتها فتنبهت والدتي فاخذتها مني اغتصابًا فصرخت بها قائلاً ياوالدتي ياوالدتي ما هذا الخبر وماذا اصابنا لابد لي من قراءة التحرير فما كان منها الا وضعتْ الرسالة في جيبها ولبست شالها وقبعتها وخرجت مهرولة منبهة علينا بالا نتبعها فاردت ان اعصى هذا الامر والحقها ولكنها كانت مسرعة كالبرق فقفلت الباب ولم افتحهُ حتى غابت عن الابصار وتوارت عن الانظار وقال لي الخادم انها ركبت عربة وراحت الخيول تعدو بها كالبرق

المسجل ـ بالحقيقة ان ذلك في غاية من الغرابة فلا بد لنا من الاطلاع على هذه الرسالة لنعلم من ارسلها ومن ابن اتت وكيف سببت لوالدتكما هذه الحال

شارلوت ـ هذا ما نرغبهُ فسامحنا ياحضرة الصديق فالعذر اجلى من الشمس والقمر

وفي ذلك الوقت فتح الباب ودخلت كونستانس تتنفس الصعداء فهرول الجميع اليها واكتنفوها وقالت لهم اه ياولادي وياصاحبي بريسون . فاجابها المسجل مهلاً مهلاً خففي عنك الغم واتحفينا بالخبر

وما قالت لهم كونستانس عن الخبر بل اخذت بيد المسجل بريسون وقالت لهُ تعال فان لي معك حديثًا سريًا

قال المسجل ولمَ لايكون هنا

كونستانس لا لايمكن ذلك الا في منزلك او مكتبك ثم ذهبت بهِ وقد

زادت حيرة بول وشارلوت اضعافًا وصارا لا يدريان ما يعملان

الفصل التاسع

لا يخفى على القارىء اللبيب ما وقع على بول وشارلوت من هذه الحادثة فان ذهاب والدتهما مصحوبة بالمسجل بريسون لم يكن ليجلي عن افكارهما صدى الوهم والقلق بل قد زادهما وهماً على وهم وعظم استغرابهما من والدتهما كيف انها دعت المسجل لمخابرتهِ بسر كتمتهُ عن ولديها وما حملها على كتمانهِ الا هذه الرسالة

وقالت شارلوت لبول — هل لمحت هيئة والدتك حينما دخلت قبل ذهابها مع المسجل فان صوتها وحديثها وهيئة وجهها كل ذلك من اشد الدلائل على كونها كانت فرحة ولما تاملت فيها ظهر لي اثار الدموع على وجنتيها وما هذه الدموع الا دموع فرح وسرور وهل لم تنظر تبسمها ايضًا

فاجابها بول ـ اني لم انتبه لكل ذلك ولا اظن ان الفرح او السرور يلوحان على وجه والدتي او يعرضان على قلبها بعد موت والدنا العزيز الذي لم نزل نبكيه للان

شارلوت ـ صدقت يا بول ولكن ماذا حدث فهل انهالت علينا مصيبة اخرى

بول — سنعلم ذلك قريبًا

وفي تلك الساعة طرق الباب فوجف قلب بول وقال ماذا يحل بنا فركضت الخادمة الى الباب وفتحتهُ فسالها رجل ابن الموسيو بول روبرت فاجابتهُ هنا ياسيدي تفضل وادخل فدخل الرجل للقاعة التي كان فيها بول وشارلوت وكان هذا الزائر ذا شعر اسود وذقن سوداء وملابسهُ كملابس الاغنياء الكبار ويلوح على وجههِ انهُ تجاوز الاربعين فلما صار امام بول قال لهُ ملحنًا ابن الموسيو بول روبرت

بول — انا ياسيدي

الرجل — اروم منك ان تسمح لي بالمخابرة معك اونة من الزمن (ثم نظر الى شارلوت) فعلم بول مراده وقال له ان هذه السيدة هي شقيقتي فلا باس من مخاطبتي امامها . فسلم الغريب على شارلوت وقال لها ان لي بنتاً بسنك ياحضرة السيدة ولكنك اجمل منها ثم نظر الى بول وقال — اتيتك ياسيدي بتوصية حضرة مدير مدرسة الهندسة الوسطى وهذه تذكرة زيارة منهُ قد رقم لك فيها بعض السطور فاخذ بول التذكرة فراى فيها هذه الكلمات

عزيزي بول — ان فرصة سعيدة اتتك على غير انتظار فقد اعطيت عنوانك لحامل هذه الورقة لتمام سعدك

قال الراوي وبعد ان قرأ بول هذه الاسطر سال الغريب ما الامر ياسيدي

الغريب — ان اسمي جوزى مورينو من اهالي مكسيك الجديدة الخاضعة للولايات المتحدة حيث لي املاك وعقارات واسعة شاسعة فمنذ ستة اشهر اكتشفت على احد المعادن الذي يسهل استخراجه وارباحه لاتقدر وقد زاد قيمتها وقوعها على ضفة نهر (ديلنورته) فانها تنقل على السفن في النهر فتصل حتى الى فرضة تكساس ولكن تدبير امر الاستخراج يقتضي ادارة رجل همام ومهندس بارع شاب وطامع بالتقدم والسعادة فاتيت الى فرنسا لهذا القصد وكان اهتمامي الاول في مقابلة رئيس المدرسة ولما قابلتهُ اشار عليَّ بان آخذك لانك خرجت من المدرسة ومعك شهادة نمرة ١ وهي التي تعطي لامهر تلميذ في الهندسة فلم ار من ياهل لهذه الادارة غيرك وقد مدح لي من سلوكك جداً وقال لي غير ذلك مما اغض الطرف عن ذكره خوفاً من ان تظنهُ تمليقاً ولكن ١ افادني عنهُ قد جعلني ان لا اقصد سواك

بول — اني اروم ياسيدي اجابة طلبك ولكن عندي واجبات اقضيها و . . . .

الغريب . . اني اعلم ما تريده بقولك هذا الان حضرة مدير المدرسة

الوسطى اعلمني ان لك اماً واختاً فتامل فيما اقدمهُ لك وهو

ادارة حسابات واعمال هذا المشروع بدون مراجعة واقدم لك بيتاً عظيماً بخدمهِ وتاكل كما ياكل اكبر الاغنياء ولك خلاف ذلك راتب شهري قدره ٢٠٠٠ من الفرنكات ورخصة ثلاثة اشهر في كل ستين واعطيك قسماً من الارباح لا اقل من ١٠ في المائة

فاندهش بول وقال لهُ — ان هذه العطايا ياسيدي تزيد عن استحقاقي

فقال الغريب — وازيد على ذلك انني سادفع لك ١٠٠٠٠ فرنك قبل سفرك

بول — ومتى تريد ان اجاوبك

الغريب — هل تكفيك ثلاثة ايام

بول — نعم ياسيدي

الغريب — حسناً يا موسيو بول روبرت فهذه تذكرة زيارتي وستجدني في الفندق كل يوم في الساعة العاشرة صباحاً

فتامل بول في الورقة فراى فيها هذه الكلمات

جوزي موريتو

دي سانتا في (المكسيك الجديد)

في الفندق كونتيننتال

وبعد ذلك قال لهُ بعد ثلاثة ايام اجيبك ياسيدي فسلم الغريب وخرج

قال الراوي — ولم يكن جوزي موريتو سوى جوستين خادم روبرت بك الخائن واحد قاتلي سيده وربما سالنا البعض ماذا قصد هذا الخبيث بدخولهِ في هذه الصفة فنقول — ان هذا الشقي كان يعشق شارلوت وبهيم بحبها فلم يرَ وصولاً لارضاء شهوتهِ الخبيثة الا بابعاد بول عنها لينال منها ما يريده بالدهاء او بالقوة وقد راى ان شارلوت تبيت في غياب اخيها كالطير في

الشبكة او كالعصفور في القفص فاخترع هذه الفرية ليبعد بول عن اختهِ وقد وثق بنجاح عملهِ لان بول لا يرفض هذا المركز الموهوم بعد فقد الوالد والمال ولكن كيف يتيسر لهذا الخادم الحقير ان يدفع عشرة الاف فرنك لبول قبل سفره . فالجواب انهُ ليس بجوزي موزينو ولا جوستين بل تلك القلب فاسدة صنعها لنفسهِ تمويهًا وتضليلاً

فلما خلا الجو لشارلوت قالت لاخيها . عدني يا بول انك لا تقبل بما عرضهُ عليك هذا الرجل

بول — كيف ارفض كل هذه المنح

شارلوت — هل تسافر وتتركني انا وامي لا ريب اننا سنموت حزنًا على فراقك

بول — ماذا تقولين ياشارلوت فقالت والدموع تتحدر على وجنتيها الورديتين اتتركنا ياالخي ودل لا تحبنا كما نحبك

بول — تاملي في الامر ياشارلوت فان هذه سعادة كبيرة في المستقبل ورفاهية لكما في الحاضر

شارلوت — اني افضل الفقر والتعب بوجودك على السعادة بفراقك وانا اقبل بكل شيء حتى الشقاء على شريطة انك تبقى لنا

قال بول — واني لا ارغب ان يصيبك فقر وشقاء حتى ولا مشقة في الاشغال على انني ما قبلت بمساعدتك الا اكون راتبي لم يكن كافيًا لمعيشتنا واليوم قد وافاني السعد فهل ارفضهُ حاشا وكلاَّ بل سا قول لك ياشارلوت ان اشغالك ليست ضرورية للمعيشة بل للتسلية فقط

شارلوت — واذا كانت هذه الضرورة تسلية لي لاني اشاركك بعملك

بول — اذكري والدتنا يا شقيقتي العزيزة واذكري انها فقدت في يوم واحد رفيق حياتها ومالها وعزها

شارلوت — ان هذه الذكرى نفسها هي التي تدعوني الى ان ارجوك بالبقاء

فهل نظن انها تسر لبعدك وتنسى الاحزان والمصائب ومع ذلك فمن يحمينا انا وهي . . . فقد قتلوا ابوك ولم يكن بضعيف الجنان . . . فمن ينبئك بانهم لا يقتلون امك واختك ايضاً واين يهربان من اعداء تخفيهم ستارة الكتمان — ثم ذرفت الدموع الغزيرة

فصمت بول اذ رأى من برهان شارلوت ما لا ينقض وعلم ان قتل ابيه مبني على الانتقام وربما تناولت ايدي المنتقمين امهُ واختهُ فحدث نفسهُ بالاحجام ولكنها حدثتهُ بالاقدام فقال في نفسهِ ويلك يا بول ألا تغرب بضع سنين لتحسين مستقبل العائلة فخاطبهُ فؤاده منادياً كيف نترك حبيبتك لو بزا بريسون وهل تزعزعت اركان محبتك لها وهيامك بها ولكن الواجبات هبت فاثارت النخوة في رأسهِ وقال بعد التفكر برهة لا بد من السفر ثم خاطب شارلوت قائلاً انعمي بالاً يا شقيقتي فاني ساوكل عليكما من يحميكما انت ووالدتي في مدة غيابي

شارلوت — ماذا تعني

بول ساخبرك حالاً . . . وارجوك كتمان السر عن والدتي ثم عانق شارلوت وخرج مسرعاً

الفصل العاشر

كانت سكة برل الواقعة في بطاح كبيرة تضرب في وادي الهدو والسكينة وكانت بعض ابنيتها قديمة العهد منها قصور بنيت في الجيل السالف فاستحالت في عصرنا هذا الى معامل للفعلة وارباب الصنائع ولما كانت اشراف باريس قد هجرت سكة برل آوية الى بيوت شارع سان جرمان فانقلبت هذه البيوت الواسعة والقصور الشاهقة محطاً لرحال الصنائع والعملة وصارت معامل ومخازن فاستجلبت اليها المصورين والنقاشين لكثرة ضيائها ففي احد هذه البيوت أقام المصور جاك ديديه صديق بول روبرت وجعلها محلاً لصناعته وقد ذكرنا سابقاً ان هذا الشاب المصور البارع كان يتردد على عائلة روبرت في قصر بنيت لوج وقد انقطع عن زيارتهم لاسباب مجهولة ولما حضر اليه بول

في احد الايام لياخذه معهُ الى قصر ابيهِ الذي لم يكن ليخلو من الضيوف اعتذر امامهُ جاك بدعوى كثرة الاشغال وبما ان بول كان يعلم سعي جاك ديديه واجتهاده باكتساب المجد والشهرة ولم يكن باقل من جاك اجتهاداً فقد قبل منهُ العذر ومع كل هذا الانقطاع كانت المحبة شديدة العرى بين هذين الشابين بل كان الواحد يزور الاخر في غالب الاحيان ولكن منذ وفاة روبرت بك افترقا ولم يتقابلا لاسباب سنذكرها . ولم يعجب جاك من غياب بول كل هذه المدة لانهُ كان يعلم ان بول تمم دروسهُ في المدرسة الوسطى وذهب الى قصر ابيهِ ليمضي فصل الصيف فيهِ

قال الراوي ولما خرج بول قصد منزل هذا الصديق ولما وصل الى المنزل سال المراة الملازمة للباب هل هنا جاك فاجابتهُ انهُ ذهب لمشترى بعض الالوان ولكنهُ سيرجع حالاً ولما كانت المراة تعرف بول ولا تجهل مقدار محبتهِ لجاك قالت لهُ تفضل وادخل منزلهُ فانهُ سيعود قريباً . فولج بول في منزل صاحبهِ وكان المنزل محتوياً على ثلاث قاعات احداها قاعة التصوير فدخل فيها بول فرآها في غاية الانتظام كالعادة وكانت مفروشة بالبسط مزينة بالصور والاسلحة وامتعة قديمة وقد كان ارباب الصنائع في الازمنة السالفة لا يعبأون بانفسهم وبزينتهم بل كانوا يبذلون جدهم ويحصرون اهتمامهم في اتقان مهنتهم اما ارباب الصنائع في هذا العصر فقد خالفوا مذهب سلفائهم وسلكوا مثل سلوك بقية الناس ولم يتباينوا الا بالذوق والمهارة في اقتناء امتعة بيتهم فجلس بول على كرسي واخذ يتامل في تصاوير صاحبهِ فراى في احد الاركان صورة كبيرة مغطاة بستارة فرفع الستارة عنها وصرخ بصوت الاستغراب اذ راى ان هذه صورة شارلوت وقد تناهت في حسنها وجمالها وملاحتها واعتدالها حتى ابهرت الابصار واسرت القلوب وقد علم بول ان هذه الصورة تعجز عنها كبار المصورين ومشاهيرهم وما كان جاك ليقدر على صنعها الا لكونهِ عاشقاً والعشق ابو الغرائب وصانع العجائب . فصرخ بول قائلاً

نعم قد صح حذري فان جاك يحب شارلوت و يهواها وقد كتم حبهُ عني تأدبًا واحترامًا فلله دره من صديق اديب كامل . . . ولا ريب ان هذه المحبة تنجح مقصدي و بينما هو على هذه الحال سمع صوت نقل اقدام فعلم ان جاك آتٍ اليهِ

وما استقط بول الستارة على الصورة الا وكان جاك داخلاً فمد يده للسلام على بول قائلاً انني اسرعت اليك وصعدت الدرج مهرولاً فلماذا لم تأتِ الى زيارتي قبل اليوم

بول — وانت لَمَ لم ارك منذ ثلاثة اسابيع

جاك — ظننت انك في القصر

(وكان جاك جاهلاً كل ما حصل لبول من فقد ابيهِ وماله)

ثم قام وقد كنت منهمكًا على العمل

بول — بماذا كنت تشتغل

وما كان جاك ماهرًا في صنعة الكذب بل لم يكن بعرفة البتة فخجل واحمرت وجناه

بول — ماذا صنعت من التحف

جاك — كنت اشتغل بالاستحضار للمعرض

بول — ان المعرض سيكون في شهر اغسطس وانت تستعد لهُ من الان

جاك — نعم ان الاستعداد اوفق وقد كنت مشتغلاً بالرسوم

بول — ارني اياها

فزادت حيرة جاك وقال لبول لم اتمها الى الان

بول — كنت اظن انك لا تخفي عني شيئًا من اسرارك

جاك — وهل انت في ريب من حديثي

بول — كلا بل الذي اظنهُ انك ترغب في اطلاعي عليها حين تمامها لاقع في الاستغراب والاندهاش من دقة صناعتها و براعتها ولكني اقول لك انها

في غاية الاتقان وقد سررت بها — ثم اخذ بيد جاك ورفع الستارة عن الصورة التي رآها قبل وصول جاك وقال لهُ

هذا ما كنت تشتغل بهِ وقد كنت اهلاً للتوبيخ على تمويهك ولكني اقدم لك التشكرات عوضًا عن التوبيخ فهل انت راضٍ الان

جاك — نعم اني منشرح الصدر جدًّا

بول — ان هذه الصورة لمن ابدع الصور واحسنها وستاخذ عليها علامة شرف وافتخار في المعرض فاني استبشر بكونك ستكون من اعظم المصورين

جاك — لا اعلم هل اصير مصورًا مشهورًا ام بعكس ذلك بل كل ما قصدتهُ هو انني رسمت على الورق ما هو مرسوم على لوح فوادي وقد اشتغلت بهذه الصورة ثلاثة اسابيع كل يوم من الفجر الى المساء ولم اصرف ساعة واحدة في الراحة بل ما قرأت صحيفة ولا تصفحت تلغرافًا وعشت وحيدًا لا انيس لي ولا جليس الا هذه الصورة التي كنت اشتغل بها في النهار واراها في احلامي ليلا وما غبت الا لاحضار بعض الالوان اللازمة فاخبرني كيف حال العائلة وهل لم يزالوا في لوج بنيت

بول — لا يا عزيزي جاك فاني منذ خمسة عشر يومًا في باريس مع امي واختي

جاك — وابن والدك

قال — فسقطت الدموع من اعين بول عند هذا السؤال وقال لهُ الا تراني لابسًا الحداد

— فصرخ جاك قائلاً كيف اروبرت بك . . .

بول — مات قتيلاً معفرًا في الغابة

فرمى جاك بنفسهِ على بول وعانقهُ قائلاً اقتل ابوك آه يا حبيبي بول أيقتل الرجل الذي فاق كل الرجال ان ذلك لامر مهول ولكن كيف لم اعلم بذلك ولمَ لم تكتب لي . . . وماذا نقول والدتك ان لم آت لتعزيتكم

بول — وفي غداة قتل والدي اي بعد دفنهِ ببضع ساعات تركنا قصر

بتيت لوج لاجئين الى بيتي الصغير الواقع في سكة كانرفيس هنا وقد فقدنا في يوم واحد ابانا وثروتنا واصبحنا فقراء يا عزيزي جاك

جاك — فقراء — يا للسعادة

كذا قضت الايام ما بين اهلها مصائبُ قوم عند قوم فوائد

فعجب بول عند استماع هذه الكلمات وزادت شجونهُ فقال لهُ جاك مسرعًا — سامحني يا صديقي العزيز واسمح لي بان اعبر لك عما في ضميري فانك لا بد اطلعت على طرف من سيرتي و بعض خبري باطلاعك على هذه الصورة فها انا اقر لك الاقرار الصحيح فاقول — اني ما امتنعت عن الذهاب معك حينما دعوتني لقصر بتيت لوج الا لكوني يتيم الام والاب من صغر سني ولم أذق لذة حياة العائلة وأحرمت من قبلات الوالدة وحنينها ومحبة الوالد وعضده ولما قد متني لعائلتك اول مرة كان ذلك اليوم عندي من ايام النعيم فاندهشت من حسن الاستقبال والسعادة التي حفت بها عائلتكم وطيب العيش والهناء . كل ذلك كان احلى من الشهد على فوادي ولم اكن قد ذقتهُ من قبل ولكني بعد زمن قصير شعرت بان فؤادي مال لشارلوت وتعلقت بمحاسنها وجمالها وملاحتها وآدابها فاتصل حبي لها الى الوله واسرت قلبي باطنها واستمرت هذه الحال بضعة اسابيع شعرت فيها بلذة النعيم ثم انقلب نعيمي الى جحيم حينما ذكرت الحقيقة وقد رأيتها مرة المذاق وقلت في نفسي من اكون انا اليتيم الفقير لاحدث نفسي بزواج ابنة رجل شهير من ذوي الثروة الكبيرة فلعنت الدراهم لانها حالت بيني و بين سعادتي وقلت لا بد لي من عدم العود الى بتيت لوج ولكن واأسفاه قد كان الذي كان وتعلقت بالحب فلم يبقَ لي بالخلاص مطمع فاضطررت اخيرًا الى العزلة في حجرتي ملازمًا العمل وراجيًا العيشة من الصناعة و بالصناعة

بول — وهل صنعت صورة شارلوت لاجل ادراك هاتين الغايتين

جاك — نعم ولكني اقول لك اني ما نسيت ولن انسَ شارلوت بل قد

ازدادت محبني لها وقد صرخت الان صوتًا اساسهُ حب الذات لاني علمت ان شارلوت لا وصول لي اليها طالما احاطتها هذه القناطير المقنطرة وانا عندي من المدخول ما يزيد على ستة الاف فرنك في السنة ولما كانت غنية صمت وسكت على القذى ولكن الان وقد ذهبت ثروتها فاني اطلب الزواج بها والتمسهُ كمنةٍ كبرى وسعادة عظمى . فناداه بول وقد قبض على يديهِ — آه ياجاك لو تعلم كم انا مسرور من كلمانك هذه . قال جاك بصوت يتخللهُ الفرح — اتقبل يابول

بول — هيا بنا لننظر والدتي وشقيقتي وهما يجاوبانك

فاشتق جاك من عدم القبول وقال لبول ربما رفضوني —

فقال لهُ بول — كيف ترفضك ابنة روبرت بك وقد اصبحت في حاجة لشغل اليد

جاك — ماذا تقول

بول هيا بنا ياجاك فاني ساقول لك ونحن في الطريق عن اسباب زيارتي وما انتظره منك وساخبرك كيف ان اولاد روبرت الاغنياء فاجأهم الفقر والذل وفقد ابيهم دفعة واحدة ثم اخذ بيد جاك وسارا معًا

الفصل الحادي عشر

وكانت شارلوت بعد ذهاب اخيها قد انعكفت على النواح والبكاء والحزن ملء فؤادها وما كانت تتذكر الماضي حتى تفيض من عينيها الدموع اذ تقابل ما كانت عليهِ من العز والرفاهية وما هي فيهِ من الذل والفراق فحدثتها نفسها بان حالتها اضغاث احلام ولكن الحقيقة برزت لها بمرارتها فبددت غياهب الشك بجيوش اليقين وناجت نفسها قائلة ما ذنبي حتى رماني الاله بحفرة الملاك واوقعني في المحن والنجارب وا أسفاه ياشارلوت فانك خاضعة كغيرك لنواميس الطبيعة الدائمة وآلامها التي تعرضها على الانسانية فلا نستثني منها طفلاً او غلامًا ولكن أَلم يكن يكفيك فقد ابيك ومالك

وسعادتك حتى بفارقك اخوك ايضاً

فزادت هذه الاحزان على احزانها السالفة وحركت ساكن الشجون وسالت جروح قلبها بعد الاندمال وفي جملتها جرح كانت تجهلهُ ففاجأها بألمهِ وقد اعتقدت انها تحب من لا يحبها وتهوى من لا يهواها وربما سأل البعض كيف تذكرت هذه الذكرى في ذلك الحين ولم تتذكرها قبلهُ فنجيبهم ان الانسان متى احاطت بهِ الاحزان والمصائب يراجع فكرتهُ فيسر بتذكر ما طبع على لوحها من المصائب التي تسبب لهُ الكدر والحزن وفي ذلك الحين دخلت كونستانس فرأت ابنتها تبكي بدموع غزار فضمتها الى صدرها وقالت لها اتبكين ياحبيبتي شارلوت وتفقدين فرصة غيابي للكآبة والعويل فلن اعود الى الغياب مرة اخرى

شارلوت — عفواً يا والدتي فان الحزن غلب عليَّ ولو كنت تعلمين

كونستانس — ماذا

شارلوت — ان الحزن اوشك ان يذهب بعقلي ولكني اعدك بالطاعة فلن ابكي الا معك فضمتها كونستانس مرة ثانية وقالت لها يا عزيزتي اكنت تفتكرين بوالدك

شارلوت — نعم وكنت اندب الازمنة التي كنا فيها في غاية السعادة مجتمعين انا وانت ووالدي وبول

فوقع هذا الكلام على كونستانس كوقع السهام فخفق قلبها ففتحت شفتيها كأنها تريد الكلام ولا تقدر عليهِ . فقالت لها شارلوت ان قلبك يخفق كثيراً يا والدتي فماذا جرى لك

فاجابتها كونستانس بصوت اثر في فؤاد شارلوت — اظن انك ستكونين سعيدة يوماً من الايام

فتركت شارلوت والدتها وارادت ان تسألها عن معنى كلامها ولكن في تلك الساعة دخل بول وجاك فامتنعت شارلوت عن السؤال واحمرَّ وجهها

خجلاً ووجلاً

اما جاك فانهُ احس بخفقان قلبهِ وكان بول قد اخبره بكل ما حصل اثناء مجيئهما في الطريق فلم يتغير حب جاك لانقلاب حال معشوقتهِ وسقوطها من درجة الغنى العالية الى درجة الفقر السفلى وكان جاك عالمًا بان شارلوت ابنة روبرت بغير زيجة شرعية ولكن ذلك لم ينقص اعتبارها عنده بل كان يحترمها كثيرًا لادابها وحسن طباعها وشهامة نفسها ومقابلتها المصائب بالصبر والشجاعة اذ قبلت مشاق العمل لمساعدة اخيها وزاد محبة جاك لها وولههُ بها لما اتتهُ من الأعمال الحسنة فكان يراها اجمل مما كانت عليهِ واكمل واحلى والطف وعلل نفسهُ باراحة هذه الدرة الثمينة بل الجوهرة اليتيمة من انعاب الاشغال

وقد نسي جاك ان العمل واجب على كل انسان فهو مذهب الغموم والاحزان ومسلي الاحباب عن فراق الخلان

وكان جمال شارلوت يتلألأ على جبينها الزاهر الفتان الذي ينير وجهها فيصبح كالصبح اشراقًا بينما ترى فوقهُ شعرها الاسود الحالك كالليل البهيم تضل فيهِ الابصار فلا تهتدي الا بنور وجنتيها المحمرتين اللتين يتخللهما انف صغير لطيف تحتهُ فم كينبوع من الشهد خارجه شفتان تلمعان كالقرمز وداخلهُ اسنان كالدر بل كالجواهر والخلاصة ان كوكب جمالها كان متجليًا في افق الكمال والجلال . ولما راى بول حيرة صاحبهِ قال — يا والدتي العزيزة ويا حبيبتي شارلوت الصغيرة هذا هو صديقي جاك ديديه صحبني ليظهر لكما اسفهُ الشديد على مصيبتنا ولما كان جاك من الذين يعشقون الاعمال و يحبونها فقد صرف نحو الثلاثة اسابيع مشتغلاً بامر من الامور ولم يعلم بهذه الحادثة المهولة الا منذ حين اي حينما كنت عنده واخبرتهُ وسترين يا عزيزتي شارلوت هذه الصورة المبتكرة التي صرف فيها جاك نحو ثلاثة اسابيع وستفرحين وتعتزين بها ففتحت شارلوت عينيها المملوءة من اللطف كانها تروم الاستعلام من اخيها عما اشار اليهِ

واما كونستانس فانها تبسمت بلطف وقالت للمصور الشاب

لقد شرفت ياسيدي — فان المصائب تجعل الاصحاب اندر من الكبريت الاحمر فمتى جاؤا يلاقون المنة وحسن الاستقبال

جاك — اه ياسيدتي كم انا متاسف وقاطع الامل نظرًا لعدم مجيئي قبل هذا الان و يصعب على ظنك انت وشارلوت باني نكثت عهود الوداد و بدلتها بالبعاد

كونستانس — دع عنك هذا الظن فان فصاحة لسانك وثبات جنانك من شانه ان يحولنا عن ظننا لو كنا كما تقول

فاحدق بول بوالدتهِ اذ رأى ان كلامها وحالتها منذ الصباح قد تغيرت تغييرا كبيرًا وكان بين الشك واليقين

فاحدق بول بشارلوت ليعلم سر الامر فرآها متهيجة ولكنها ليست بفرحة بل تظهر على وجهها علامات الحزن والكآبة فظن بول ان افكاره في غير محلها وان والدتهُ ما اكثرت من التبسم الا تلطفًا بحال الضيف لكي لا تحزنهُ معهم ولكن قلب بول وعينيه يصعب غشهما والتمويه عليهما فكلما كان يتامل مدققًا في حديث والدتهِ كان يرى عليها سمات الفرح والاستبشار بما جعلهُ متحيرًا فقال في نفسه

لا ريب ان في الامر سرًّا خفيًا كتم عني وعن شارلوت فيا ربي ما الذي غير قلب والدتي ومن يعلمني بهذا السر المصون لا ريب انهُ الصديق بريسون فمنهُ نبزغ انوار الحقيقة فساذهب اليوم اليهِ واودعه واودع لوبز قلبي فكيف اترك فرنسا قبل ان اودعها

ثم افتكر بعائلتهِ وبمن سيقيمهُ حاميًا لها في مدة غيابهِ وهو جاك الذي سيكون بمثابة ابن لكونستانس اذ يصير زوجًا لابنتها شارلوت فرآه صامتًا منتظرًا من بول فتح الباب فقال بول —

وليس ما قلتهُ لكما كلما يرغبهُ صاحبي جاك بل اقول بالنيابة عنهُ انهُ ما ابتعد عنا بعد الود الوثيق الا لوقوعه في شرك حب شارلوت فانهُ كان يموت

في هواها ولكن غناها حال دونهُ ودونها فكان لا يقدم على هذا الطلب خيفة ان ينسب الى المطامع فقيد قلبهُ بسلاسل الصبر فهذه هي الاسباب التي دعت جاك الى الافتراق عنا واما اليوم . . . .

فقال — جاك اسمح لي بان اكمل لك الحديث — اما اليوم فان روبرت بك قد فقدناه بالمصيبة الكبيرة وابنتهُ اصبحت فقيرة فانا اشكو الدهر واشكره واحمد فضلهُ وانكره اذ مناني بالشقاء وحباني بالسعادة والوفاء واسباب شقاوتي هذه المصيبة واما اسباب سعادتي فهي محصورة في كون حبي قد برز بعد ان كان مكتومًا فانت ياسيدة شارلوت احبك حبًا شديدًا شريفًا فنيك سعادتي وحياتي فاذا قبلت بي صاحبًا وصديقًا بل زوجًا صادقًا فلا افتكر بغير سعادتك وعندي ان ذلك يجعلني غنيًا ويزيد مهارتي واذا رفضتني هلكت ومت وقلت على الدنيا ومن فيها السلام — فاجيبني ايتها السيدة هل تقبليني زوجًا وحليلاً — ثم خاطب كونستانس قائلاً — هل تقبلين يا سيدتي ابنًا ثانيًا لك فعندي ايراد قليل يبلغ ٦٠٠٠ فرنك وبعض المعرفة

فقال بول — انك كثير المعرفة كبير الشهرة ثم التفت الى شارلوت قائلاً — انهُ لما قطع الامل منك صنع لك صورة كصورة ملك سماوي وسيحوز بها علامة الافتخار وينشر صيتهُ بين اكبر المصورين فانظري مقدار محبتهِ لك وشرف نفسهِ

وكانت شارلوت صامتة وخفقان قلبها مشتد ووجهها يحمر — فقالت لها والدتها اجيبي ياشارلوت فاني من اشد الراغبين فيهِ نظرًا لحسن سلوكهِ وشهامتهِ وبراعتهِ

فنظرت شارلوت الى جاك وقالت لهُ — اني والصدق ياموسيو جاك عندي من نحوك المحبة الشريفة وكلامك قد اثر في فوادي ولكن المصيبة التي انصبت علينا جعلت قلبي مغلقًا امام الافراح فلا شيء عندي اقولهُ لك سوى ان املك لا يخيب ثم مدت لهُ يدها

فقبلها جاك وقال – آه ياسيدتي لقد صيرتني من اسعد الرجال حظًا

فقالت له كونستانس – لا تقصر في زيارتنا ياموسيو جاك فان ابواب بيتنا كقلوبنا مفتوحة لك

جاك – اني كل يوم

كونستانس متبسمة – نعم كل يوم

فرمت شارلوت نفسها في احضان والدتها وعانقتها وكان لسان حالها يخاطب والدتها قائلاً انني اسأت الظن في محبة جاك فانه ما نقض العهد ولا نكثه بل كان يرسم صورتي على الورق كما رسمها الحب على قلبه واهًا لو كان والدي حيًا فان ذلك كان يتمم سعادتي ولكن

ما كلما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

فاقترب بول حينئذٍ من اخيه وقال لها هامسًا في اذنها . هذا هو المحامي الذي وعدتك به فهل انت راضية عنه

فقبضت شارلوت على يده وقالت له نعم

اما بول فانه راى الموانع الحائلة دون نوال مرغوبه قد زالت ولكنه لم يشأ ان يطرف كونستانس بالخبر قبل ان يزور الموسيو بريسون الصديق الامين ولويز المحبوبة التي قضت عليه واجبانه بتركها ومبارحتها ولكن كيف ينساها وقد اصبح من اذل اسرى هواها ان ذلك الامر لامر خطير

الفصل الثاني عشر

لا يخفى على من درس المولفات وقرأ القصص والروايات ان المولفين والمتخصصين يتخصصون المسجل بهيئة بعيدة عن الانسانية قريبة من الهمجية وتلك من الاكاذيب التي ما انزل الله بها من سلطان لان المسجلين واخص منهم الباريزيين هم اناس مشرفون نظرًا لاستلامهم اسرار الاعيان والنبلاء ولهم نفوذ كبير وثروة تامة واعتبار عند ارباب العائلات فضلاً عن سلامة ذوقهم واداميهم ومعارفهم والبعض منهم درسوا القانون ولهم فيها الخبرة التامة

وكان الموسيو بريسون حاويًا كل هذه الصفات الحسنة مضافًا اليها البراعة والبراعة وهو مهذب ذو لطف يسحر الالباب وحكمة جعلته كعبة المستشيرين وركن المستجيرين وكان رجال العمل الذين لهم اهمية في العالم الباريزي يحترمونه احترامًا كبيرًا وكذا عملاؤه المرتبطين معه بعلاقات الاشغال ومع ذلك لم يكن ممتنعًا عن الذهاب لحضور التياتر والفرنساوي والتفرج على الاوبرا ثلاث مرار في كل شهر

وكان بريسون غنيًا فلم يعتد بزواج ابنة احد الاغنياء طمعًا بالنقود الوافرة بل تزوج ابنة احد عملائه المتوسطين في الحال وكان قد بلغ ٣٥ سنة وكانت قاعته محطًا لرحال الكثير من اعيان هيئة باريز الاجتماعية ثم في سنة ١٨٧٠ توفيت مدام بريسون عن ابنة تدعى لويز بالغة من عمرها خمس سنين فكانت روحًا لابيها واجتهد بتربيتها وتهذيبها بنفسه حتى صارت مثالاً للكمال والتهذيب

وكان الموسيو بريسون موكلاً من قبل صديقه روبرت بك على ابنه بول الذي وضعه في المدرسة الوسطى لتعليم الهندسة فكان في ايام الاحاد والاعياد ينزل ضيفًا على الموسيو بريسون فيتجاذب اطراف السير والنوادر هو ولويز فبعد ان عقدت عهود المحبة الاخوية بين لويز وبول انقلبت الى عشق وغرام وولهٍ وهيام وقد علم ذلك الموسيو بريسون فغض الطرف عنه لعلمه بشهامة ابنته ونبالة بول وعزة نفسه وكان هو وروبرت بك يرغبان في وقوع المحبة الصحيحة بين ولديهما ليجمعا بينهما بعقد الزواج الراسخ على اصول المحبة الصحيحة فجاءت الحوادث مطابقة لمرامهما ولكن مقتل روبرت بك خيب آمال بول اذ جعله فقيرًا حقيرًا بعد ان كان غنيًا كبيرًا

وكان لا يصدق بكون الموسيو بريسون يزوجه بابنته لويز لانقلاب حاله من السعادة الى الشقاء فلعبت به اذ ذاك عواصف الشجون فسقط في لجة الملل قاطعًا الامل وعزم على الرحيل الى المكسيك حيث دعاه الخائن الماكر الملقب

بجوزي مورينو ولم يكن هذا البعاد للسلو بل لتخفيف مصائب الحب القتالة فالمزار قريب ولكن دونهُ اهوال والبعاد مر على اي حال ولكن من وقع بين مصيبتين اختار الصغرى ومن اصيب بشرين دفع الاكبر وعول بول على مبارحة الديار تاركًا منها العيون والاثار لان هذا السبب زاد على اسباب سعيهِ في رفاهية العايلة فطمحت انظاره الى الرحلة والعزلة

فسار بول ماشيًا طول السكة التي تفرق بين طريق كاترفيس وسكة شوازول حيث يسكن الموسيو بريسون وكانت مسافة الطريق كافية لخوضهِ معامع التفكير والتدبير ليحل الله الامر العسير

قال الراوي وكان المسجل ساكنًا في احد المنازل الواقعة في الطبقة الاولى من حارات شوازيل وكان مكتبهُ ومحل عملهِ منتهيين الى ساحة كبيرة مقابلة لمنزلهِ فقصد بول مكتب المسجل بعد ان تلاعبت بافكاره ايدي الظنون والتخمين فرأى المسجل فرحًا يكلمهُ بكل بشاشة فكان ذلك على قلب بول امر من الصبر لانهُ عجب من هذا الصديق كيف فانهُ ان بول لم يزل غائصًا في الحداد على والده فقال لعل هذا التغيير الذي اراه الان متعلقًا بغيير هيئة والدتي ثم اراد تاكيد ذلك وسال الموسيو بريسون قائلاً

سيدي قد حصل عندنا حادثان الفياني في لجج الاستغراب اولهما ان والدتي اخذت كتابًا من البوسنة وغشي عليها عند قراتهِ ولما رمت الاطلاع عليهِ مانعتني عن ذلك ولما حضرت اخذتك معها لكي تطلعك على ما في الكتاب . والثاني ان عدت الى بيتنا الان فلمحت تغييرًا مهمًا في عادات والدتي وحركاتها وقد صرت في ريب من حالتها حتى ظننت انها نسيت روبرت بك فهل صدق ظني ام لا

فاجابهُ الموسيو بريسون بقولهِ — ان والدتك لم تنس المرحوم برهة من الزمن ولكن الخطاب الذي اتاها انما هو من تونس فكان كالمرهم على جرح مصابها وساعلمك بفحواه حينما ياتي الزمن المناسب فهل تروم الاستفهام عن

شيء اخر

بول — نعم ان هذا كل ما ارومهُ ولكن عندي خبر اطرفك بهِ واطلب رايك فيهِ

بريسون — تكلم فاني مصغ لحديثك

بول — في صباح اليوم بعد ذهابك من منزلنا اتاني رجل اجنبي بعثهُ اليَّ مدير المدرسة الوسطي فعرض عليَّ وظيفة عنده في المكسيك من قارة اميريكا وهي ادارة وهندسة استخراج معدن براتب قدره ٢٤٠٠٠ من الفرنكات وقسم من الارباح و١٠٠٠٠ فرنك يدفعها لي قبل رحيلي من باريس

المسجل — ان ذلك مناسب جدًّا

بول — اصحيح ما نقول

بريسون — نعم فعلى ماذا عولت

بول — على القبول

بريسون — وهل تذهب الى اميركا لتحوز الغنى بالسرعة

بول — كلا ياسيدي فان الراتب الذي احصلهُ في فرنسا كاف لمصاريفي ولكنني لا انظر الان الى نفسي فقط بل الى والدتي واختي ايضًا فانهما اصبحا بعد روبرت بك في حالة شقية ذليلة فانا بذلك ارغب في النيابة عن والدي بقدر الامكان باذلاً جهدي لضمانة مستقبل شارلوت ووالدتي فهل تظن عملي حسنًا

بريسون — نعم — لانك تبرهن بهِ على شجاعة وثبات وهمة لنفع العائلة فقل لي هل عولت على السفر

بول — نعم وكلمانك هذه تشجعني وتجعلني معتزًا ومفتخرًا بها

فقبض المسجل بريسون على يدي بول وقال لهُ ان سلوكك مشابه لسلوك صناديد الرجال فان اباك سعيد لحصولهِ على ولد مثلك ولكن هل تترك باريس بلا اسف

فهيج هذا السؤال قلب بول وقال بعد الصمت برهة من الزمن — ان

النوم ولذلك استقبلت لويز بول في قاعة استقبال صغيرة وكان بول عند المستقبل كالبنة

ولم يحمر وجه لويز عند مرآى بول وذلك نتيجة التهذيب الابوي فكل ابنة يربيها ابوها حق التربية وتعيش معهُ تصبح مقيدة بسلاسل حرية الضمير المقرونة بالادب فالام مثلاً تقول لابنتها احترسي من الرجل فانهُ عقرب مسم بل حية تلذعك مع كون الاب يقول لابنتهِ لاتستحي من الرجل لانهُ رقيق حياتك بل عولي عليهِ وحافظي معهُ على زهرة الاداب وثمرة الشهامة

ولكن بول اعتراه الخجل فاحمر وجههُ وتغير لونهُ ولو قيل ان محبة لويز لبول كانت اخوية لضل القائل عن الهدى لانها كانت تحب بول محبة تنزعزع لها اركان الجبال الراسخة ولكن والدها كان يعيش فوادها بقولهِ هذا الحب النقي

وكانت لويز بريسون ذات لون وردي بعينين زرقاوين ووجنتين محمرتين وقدّ اهيف كغصن البان معتدلة القوام لها فم كانهُ منبع السلسبيل والكوثر وخصر نحيل ومبسم يفتر عن درر وعيناها ترميان اسهماً قتالة تستهدف قلوب العاشقين وافئدتهم والخلاصة

هي الظبي جيدًا والغزالة مقلة وروض الرباعرفًا وغصن النقا قدًّا

فلما وصل بول اليها مدت يدها للسلام عليهِ وقدّمت له وجنتيها فقبلها قبلتين وكان الموسيو بريسون ينظر الى هذا الشغف بعين مسرورة وقال لابنتهِ هذا صاحبنا بول انى لوداعك

فلم تتاسف لويز اسفًا شديدًا لهذا الخبر فقال بول بنفسهِ واسفاه ان غيابي عندها كلاشيء وقالت لويز هل اتيت لوداعنا يابول

بول — نعم

لويز — وهل انت مسافر

بول — نعم اني راحل رحلة طويلة

قال الموسيو بريسون — انهُ مسافر الى امريكا فارادت لويز ان تظهر

مركزنا الحالي فرض عليَّ الاهتمام بامور العائلة لكي اظهر امامك ياسيدي ان ابن روبرت بك الغير الشرعي يستحق احسن من حالتهِ الحاضرة الذليلة . فقد عولت على الرحيل وساعلن بذلك جوزي مورينو اليوم

بريسون — كيف أتسافر بهذه السرعة . وهل اخبرت والدتك بذلك

بول — لم اخبرها الاني كنت منتظرًا رايك والان قد اخذتهُ فساعلمها بسفري في هذه الليلة

بريسون — وهل تروم السفر حالاً

بول — نعم ارغب ذلك واكره التطويل لان بهِ تطول الام الفراق

بريسون — فعلى ذلك سانظرك مرة ثانية

لا اظن ذلك لان الاستعدادات التي سانخذها تستغرق كل زمني فها انا استودعك الله

قال المسجل انك ما سافرت بعد واذا لم تقدر على المجيء ذهبت انا لوداعك ولكن الا تتذكر شخصًا يجب عليك وداعه ايضًا

قال بول بحيرة — اي شخص — ثم تذكر ان المسجل اراد بذلك ابنتهُ لويز

المسجل — انسيت لويز

بول — حاشا لي ياسيدي من سلو لويز . . ولكني كنت عازمًا على الاستئذان منك لزيارتها قبل مبارحتي الديار

المسجل — انك ماذون بذلك بغير اذن يابول اليست لويز كشقيقتك فانبعني لنزورها الان

قال — ثم ازاح المسجل الستارة فانجلت عن باب ولجاه هو وبول ثم سارا في ممشى طويل حتى وصلا الى قاعة لويزا — ولا يخفى ان الانكليز عندهم قاعة ذات الخدر مقدسة لاتمسها ارجل الزوار ولا يطأها قدم الرجال حتى ولا الخطيب واما الفرنسيس فانهم وان كانوا اكثر تهذيبًا من الانكليز فقد نبذوا هذه العادات السيئة وتركوها ولكنهم يستحيون من استقبال الضيوف في قاعة

الحزن على هذه الرحلة ولكن سبقت شفتاها الى التبسم والانشراح اما بول فلم يلحظ ذلك لان عين الحب عمياء

وقد كان الواجب على بول ان يلحظ ما وراء الغدام فان تبسم الموسيو بريسون وانشراح صدر لويز لم يكن عن عبث بل كان لتفهم بحظهِ وحسن مستقبلهِ

قالت لويز — ان سفره لامريكا ربما استغرق اشهرًا

المسجل — لا بل يستغرق خمس سنين

قال بول — نعم ياسيدي

لويز — ولكن هذه الرحلة تعد نفيًا لا سفرًا

الموسيو بريسون — ماذا تريدين فان الرجل التاجر قدم لبول مركزًا خطيرًا وهو من عزة نفسهِ قبلهُ ولو احوجه ذلك الى التغرب ضمانة لمستقبل والدتهِ وشقيقتهِ فهل لا تستصوبين سلوكهُ

لويز — ان سلوكهُ حسن جدًّا ولكني اظن ان لا حاجة الى رحلة بول وان مرامهُ ميسور بدون مبارحة فرنسا

بول — وكيف ذلك

لويز مخاطبة والدها — اما قلت لي ياوالدي العزيز ان احد اصدقائك عنده معدن بروم استخراجه في بلد (ايزير)

الموسيو بريسون — وما القصد من ذلك

لويز — اقول ان هذا الرجل محتاج الى مهندس فسيكون بول مهندسًا عنده لان معارفهُ ومهارتهُ وبراعتهُ كل ذلك مايوهلهُ لهذه الوظيفة ومتى اوصيت صاحبك قبلهُ للساعة

فقرع الموسيو بريسون جبينهُ كانهُ يروم التفكر ولكن هذه الحركة كانت اقرب الى التصنع من الحقيقة — وقال لها

ان كلامك في محلهِ وقد اصبت كل الاصابة وانا استغرب كيف لم افتكر ببول ولكن هذا شيء مستحيل . . . فكيف نسيتهُ قاتل الله الاشغال لانها تنسي

الواجبات و بورك في البنات لانهن يذكرن الوالد بما ينساه (خصوصاً اذا صرفن ذاكرتهن لجمع شملهن بمن احببن)

وكان بول يسمع هذا الحديث باذن لاتعي ولو تمعن قليلاً لعلم ما دبروه عليهِ من الحيلة المزاحية لانهُ كيف يصدق ان المسجل ينساه من فكره

قال المسجل — وقد تذكرت الان ان صديقي سيجعل المهندس وظيفة كبيرة اذا نجح المشروع فاعتبر انك ستتولى هذه الوظيفة بلا شك ويمكنك منذ اليوم ان تخبر الامركاني بعدم قبول طلبهِ

فصرخت لويز — آه يا والدي كم انا سعيدة ورمت بنفسها في احضان والدها ثم قالت لبول متبسمة — وهل تحسب نفسك سعيداً ايضاً

وكان بول اذ ذاك ضاحكاً باكياً فالتفت اليهِ الموسيو بريسون وقال لهُ عانقها لانها افتكرت بك وكانت سبباً لعدم فراقك الاهل والخلان

فعانق بول لويز وهمس في اذنها قائلاً ياحبيبتي لويز انا كلف بصفاتك الحسنة وجمالك الزاهر

لويز — لا اجهل ذلك وهذا هو السبب الذي حملني على ان اسعى ببقائك هنا

وقال الموسيو بريسون لبول — هيا بنا فاني ساعرفك بصديقي في هذا اليوم

ثم اخذ بيد بول وخرجا وكان بول يقول ياسعادتي لو كان والدي حيًا

القسم الثاني

الفصل الاول

الف الدهر سنة التغيير فلا يدع حالاً الا و يقلبها ومن عوائدهِ ان يفقر الغني ليغني الفقير و يميت الكريم ليعطي اللئيم ويحزن الوفي ويسعد الخؤون فهو دولاب يدور على ابنائهِ فيسقيهم تارة كاسات الراح عطفاً وطوراً كاسات

الهموم صرفًا فلا ذمام ولا عهود ولا وفاء عند هذا الناكث العهد والولاء

قال الراوي — وقد دخلت اصابع التغيير في قصر روبرت بك منذ تركته كونستانس وبول وصرفت سسيل شامبلي اهتمامها بتغيير كل من في البيت من الخدم فصرفتهم عنها وانت بغيرهم وزال ما كان موجودًا في القصر من الحركة والانشراح منقلبًا الى ما يعادل الاتراح وقفلت الابواب على كل الوافدين فلو تجاسر احد الفقراء في قرع الباب عاد عليه ذلك بالطرد بعد الشتم والضرب وذلك دليل على كون ساكني بيت لوج الحديثي العهد متوحشين ومشبوهين لا يفرجون فقيرًا ولا يدرون فعل الخير بل كانوا يعيشون منفردين عن الناس حتى اوشكنا ان نعزو ذلك الى حزنهم على روبرت بك لولا سابق علمنا بان سسيل شامبلي وابنها ما حزنا على روبرت بك ولا اخذتهما حدة الاسف عليه

وكان فريدريك وسسيل يذهبان بعض الاحيان الى باريس حيث استوليا على منزل روبرت بك الواقع في سكة مالزرب وهو المنزل الذي كان يسكنه روبرت بك في الشتاء

وما كان فريدريك وسسيل يقبلان سوى الاميركاني ماكس

(اوجوزي موريتو وان شئت فقل الخادم جوستين)

ولكن هذه الزيارات كانت قليلة جدًا ومسدولاً عليها ستار الخفاء وربما سالنا البعض شرحًا وتفصيلاً عن صفة الاميركاني المذكور فنجيبه ان ذلك التفصيل سياتي على ذكره قريبًا

ومن الغرائب أن سسيل وولدها من حين استحصالها على املاك روبرت بك باعت من الغابة ذلك القسم الذي قتل به روبرت بك وهو القسم الذي يزدان به القصر لما فيه من الاشجار العالية الكبيرة فاشتغل الفعلة في الاشجار يقطعونها وكأن امرأة روبرت الشرعية ارادت ان تمحي آثار فقده ففعلت ما فعلت او كأنها راغبة بالنقود والله عليم بذات الصدور

ولنرجع الآن الى تقرير الحوادث عائدين بالقارئ الى محطة شوازي لي روا فنقول

وصل قطار الساعة ١ و ٤٠ دقيقة الى شوازي لي روا فنزل منهُ بعض راكبيهِ وسار الى البون

وسار الوافدون الى ناحية باب المحطة وكان احدهم قد عبر أزقة البلد وسار من طريق فرسالي وكان هذا الرجل كبير القامة عريض الاكتاف حسن الهيئة الا ان وجههُ كان مستورًا اغلبهُ باطراف (كوفيه) وذقنهُ محلوقة ولم يكن لذلك من امكان الناظر ان يعلم سنهُ

وعند احدى محطات الطريق حول المسير الى الشمال فعبر جرينبون شاخصًا الى اورلي وفي الحال اصبح امام غابة روبرت بك فوقف امامها متفكرًا ثم قبضت يده على عصاه بشدة وتحركت شفتاه بما لا يفهم والخلاصة انهُ كان هائجًا جدًّا . وفي الحال ترك الطريق وولج الغابة حتى وصل الى محل مقتل روبرت بك فراى بعض الفلاحين فسال احدهم قائلاً . أهذه غابة روبرت بك

فاجابهُ المسئول — نعم

الرجل — وهذه السكة تؤدي الى القصر

الفلاح — نعم ياسيدي ولكن اذا رمت مقابلة روبرت بك فلا فائدة من ذهابك

الرجل الغريب — ولماذا

الفلاح — لان روبرت بك قتل

فاجتمع اذ ذاك الفلاحون على الرجل لينظروا ما يريد الاطلاع عليهِ وقال احدهم

في احدى ليالي شهر اغسطس الماضي هجمت عليهِ عصابة اللصوص الغادرين فقتلوه وقتلوا قائد عربتهِ ايضًا

وقال غيره — لم نقتله عصابة بل قتله اثنان باسرو الاعمى وروسينيول السالبين

فاستغرب الغريب هذا القول وقال —

كيف يصح ان يقتل الاعمى رجلاً

اجاب الفلاح — انهُ ليس باعمى بل ادعى العمى لينقذ نفسهُ

قال الرجل الاول وانا اوكد لك انهم كانوا عصابة اذ لا يصدق احد ان باسرو الذي بلغ السبعين وروسينيول المسكين يتجاسران على مهاجمة ثلاثة رجال اشداء لا يعرفون الجبانة مثل روبرت بك وخادميه

قال الاخر — ان الذين لا يتجاسرون عليهِ في النهار يعاونهُ مفاجأة في الليل

قال الاول — ان روبرت بك وقائد عربتهِ تعودا على صد اللصوص وما هذه باول واقعة لهما معهم

فاجابهُ الاخر بقولهِ — ومع ذلك فحينما قبضت الشرطة على باسرو وروسينيول وجدوا معهما رفولفرًا وكيسًا غاصًا بالذهب الوهاج فمن اين لهما هذا الكيس وذاك الرفولفر

فهز الاول اكتافهُ علامة للاستهزاء وقال لهُ اظن ان باسرو وروسينيول اخذا دومينيك الذي لم يقف لهُ على اثر

فاجابهُ الاخر بقولهِ . وهل يبعد ذلك عن الامكان او ليس من المحتمل ان يكونا قد دفنا جثتهُ بعد قتلهِ

(وكان هذا الظن لم يخطر للماضي على بال لان رجوع اللصوص الى محل قتلوا بهِ رجلين ليدفنوا احدهما بعيد جدًا عن التصديق لما في هذا العمل من عرض انفسهما للخطر الجسيم)

ثم قال احد العملة مخاطبًا الغريب . ان المحل الذي نقف بهِ هو محل الموقعة بلا مراء فادار الغريب نظره في تلك النواحي فنزلت الدموع من

عينيهِ وقال بصوت مخفض آه ياصاحبي العزيز ثم خاطب الرجل قائلاً
هل قتل روبرت بك وهو راجع الى قصرهِ

فقال الرجل — نعم ياسيدي

ثم استفهم الغريب عن مقتل روبرت بك بالتفصيل فعلم كلما حصل الا اشتراك الخادم بالخيانة وقد سأل الغريب ايضًا عن الخادم الثاني الذي كان بالقرب من دومينيك

فاجابوهُ بقولهم انهُ انقذ نفسهُ وفرَّ طالبًا المساعدة من الفلاحين المجاورين للغابة فما وصل الفلاحون حتى وجدوا جثتين على الحضيض فنقلوا جثة السيد الى قصرهِ . ولما عادوا الى نقل جثة دومينيك الى قصر سيدهِ ما وجدوها

قال الغريب — من المحتمل ان يكون الخادم قد ضمد جراحاتهِ وذهب الى محل لا يعرف خوفًا من فتك اللصوص

فقال آخر — لا يمكن ذلك

قال الغريب — وماذا جرى بعد ذلك

الرجل — اتى قاضي التحقيق من باريس ثم نائب شرع ومسجل ثم ظهرت امرأة وابنها وعليهما ثياب الحداد ومن بعد ظهورهما استوليا على القصر وكل املاك روبرت بك واما السيدة الاخرى التي كانت تدعى مدام روبرت وابنتها شارلوت وابنها بول فقد اخذهما المسجل الى باريس ولم نقف لهما على أثر وقد اشاع البعض على مدام روبرت وابنتهِ وولده بول ما لا يحسن ولا يصدق لانهم مثل روبرت بك محبون للخير قد درسوا الاداب وحازوا من الكمال غاية القصوى

قال رجل آخر — واما الاخرون فانهم لا يشابهون فسأل الغريب ومن هم الاخرون

قال الرجل — اريد بهم الامرأة اللابسة الحداد وابنها اللذين اخذا محل مدام روبرت فان هذا الولد الذي يدعى فريد بريك هو شقي للغاية

ويغصب البنات ويكرههم على الفحشاء والرفولفر دايمًا في يدهِ قاتلهُ الله واما امهُ فانها لم تشبع فقيراً ولم تعطهِ كسرة من الخبز

ثم سأَلهم الغريب عن الخادم جوستين فاجابوهُ انهُ اختفى كغيره وسأَلهم ايضًا عن الامرأَة وابنتها هل هما عائشان في حضن الوحدة والانفراد

فاجابوهُ انهما استبدلا الخدمة ولم يأْت لزيارتهم الا صديق واحد يأْتي بعربة ويعود بها بدون ان يخاطب احدًا . وفي تلك الساعة سمع صرت عربة آتية فقالوا لهُ ها هو آتٍ

فقال الغريب بصوتٍ منخفض انهُ هو بعينهِ ولما مرَّت العربة سلم عليهم وقال لهم شكرًا لكم وانا استودعكم الله فاني ذاهب لقصر بتيت لوج ثم مدَّ يدهُ الى جيوبهِ واعطى الفلاحين ثلاثة دنانير وقال لهم اشربوا على ذكر روبرت بك وعائلتهِ وسار قبل ان يشكرهُ الفلاحون ولما وصل الى اسوار القصر اخرج مفتاحًا من جيبهِ وأَولجهُ في الباب فدخل الحديقة وغلق الباب وصار يمشي مستترًا بالاشجار والازهار حتى وصل الى القصر الداخلي فدخلهُ بخفة وكانت الغيوم قد حجبت باكنها وجه السماء فاظلمت وهبت الريح عاصفة بشدة تعادل العاصفة التي هبت ليلة مقتل روبرت بك وكان الريح يلعب بنوافذ القصر فيلطم الحائط باخشاب النوافذ وثارت اوراق الاشجار طائرة مع الغبار واهتزت الاغصان تنوح على مفارقة الحبيب

وقد تكون هذه التغييرات الجوية مقدمة لحوادث مهولة على انها ذات تأْثير كبير على ذوي المزاج العصبي

القسم الثاني

الفصل الثاني

ذكرنا قبلاً للقاري اللبيب شرحًا على قاعة استقبال قصر بتيت لوج التي اجتمع فيها المسجل وقاضي التحقيق وامرأَة روبرت بك الشرعية وولدها اللعين

وكونستانس وبول وشارلوت . والآن نذكر هذه الفاعة اذ اجتمع فيها فريدريك ووالدته ولبثا في انتظار الاميركاني ماكس ريويل شريكهما وكان القصد من هذه الجمعية تقسيم ميراث روبرت على الثلاثة

وكان فريدريك هذا قاسيًا متوحشًا لا يعرف الدين ولا الشرائع والانسانية ويسخر بالواجبات والادب وكانت الحياة عندهُ جرعة من ماء الملذات وقبضة من لجين المسرات ولم يكن يترك الرفولفر دقيقة واحدة بل كان ينادمهُ ويجالسهُ ويستعملهُ لتمهيد الصعب وما كان ليحتال الا حينما يقف امام عدوٍّ اقوى منهُ ولما كان قد نشأ بين متوحشي امريكا الذين تفننوا في القتال والملاعيب والدهاء فكان احبل منهم والذي زادهُ عليهم شرًّا كون وجههِ يدل على أدبٍ لا يعرفهُ ولا يعلمهُ

ولا ريب ان الوالدة لا تربي ابنها على هذه الطريقة الا اذا كان لها غايات ومقاصد دنيئة

وكان فريدريك يحب والدتهُ كما يحب الشبل اللبوة لانها تحميهِ من هجمات الصائدين وتاخذهُ معها الى القتال لتعلمهُ الدهاء في مقام النزال

وقد جعلتهُ سسيل ذراعها الايمن فهي المدبرة وهو القائم بالعمل وكان حبهُ لوالدتهِ كحب الحيوان لمن لهُ عليهِ المنة واما سسيل فانها كانت تحبهُ لكون طباعهِ موافقة لطباعها ولكونهِ آلة نقمتها ونبل سهامها

وما كان لاحد نفوذ على فريدريك من بعد والدتهِ الا ماكس ريويل الذي رباهُ وكان نفوذهُ عليهِ كنفوذ الفرد على القرد ولم يكن فريدريك باقل توحشًا من القرد بل كان من القريب اليهِ ان يسحق يومًا هذا الرجل الذي قبض على زمام النفوذ عليهِ

وكانت سسيل شامبلي جالسة على مقعد ويدها اليسرى على محدة وقد اسندت بهِ راسها وعيناها تنظران الى شيء فتبتسم كانها في ثنة من غدرات الزمان

وكان فريدريك متكئًا على كرسي طويل وماداً رجليهِ في الهواء يسند طرفيها الى كرسي اخر وهي عادة مالوفة عند (الاميركانيين) . وكان يدخن ويشرب في كل برهة جرعة من قزازة (روم) كانت في يده ولما رأى والدتهُ لم تلتفت اليهِ رمى بقزازة (الرم) الى الجانب الاخر من القاعة فانكسرت ووقع ما بها على بساطٍ جميل فاتلفهُ

ولم تغضب سسيل من عمل ابنها بل التفتت اليهِ قائلة لهُ ماذا جرى لك فاجابها انني سئمت الصبر من هذا البيت فهل لم تعزمي على مبارحتهِ الى باريس

سسيل — نعم سنذهب اليها بعد قليل من الزمن

فريدريك — بعد كم يوم

سسيل — بعد ثلاثة ايام

فخمدت نار غضب فريدبريك وعادت سسيل الى ما كانت عليهِ ولكنها سمعت قرع الباب فسالها فريدبريك من هو بالباب فاجابتهُ هو صاحبنا ماكس

فنهض فريدبريك وذهب الى النافذة ثم عاد وقال الى والدتهِ انهُ ماكس ربويل بعينهِ ولكنهُ تاخر

قالت سسيل — ماذا يهمنا ذلك فالغاية ان تكون معهُ اخبار جيدة فدخل ماكس بهيئة احد نبلاء الاميركان وكان مختلفاً كل الاختلاف عن صورة الخائن جوستين الخادم والسيد الكبير جوزي موريتو ولو كان الثلاثة شخصاً واحداً وكان ماكس في هذه المرة اسود شعر الراس وشاربهُ كشارب الاميركان وقد اختلف صوتهُ عن صوت الخادم جوستين لان صوت الخادم كان ذليلاً ولفظهُ بالفرنساوية كان معتلاً اما صوت ماكس فقد كان كاسلاك الذهب ووجههُ يدل على كونهِ بلغ ثماني وثلاثين سنة

فقالت لهُ سسيل — ماذا جرى

فاجابها ماكس — لانساليني ياعزيزتي لاني غضبان من هذه الحالة

قال فريدريك — أخابت امالك وحبطت اعمالك

فقال ماكس والله ان ذا الامر غريب ولكن لابد لي من النقمة واخذ الثار

ولما الح عليهِ فريدريك وسسيل لسرد قصتهِ قال

قد كنت وقعت على واسطة لابعاد الاخ عن اخيهِ فجعلت نفسي من نبلاء المكسيك وان عندي معدنًا عظيم القيمة ولي حاجة الى مهندس فرنساوي واخذت معي تذكرة من مدير المدرسة الوسطى والخلاصة انني كنت في درجة تبيح لنا نوال الارب وكانت غايتي ابعاد بول روبرت الى المكسيك لكي اختطف اختهُ حين سفره فزخرفت اقوالي واعددًا بول براتب قدره ٣٤ الفًا من الفرنكات وقصر لسكنهِ يليق بالملوك وقسم من الارباح

قال فريدبريك — كل ذلك من الامال التي لاتحقق

قال ماكس — نعم ولكنني وعدتهُ بدفع . . . . افرنك قبل سفره

فريدريك — أنصرف . . . . افرنك للانتقام

ماكس — ليس للانتقام كما تظن بل ذلك هو الحب الشديد لاني لما عاينت شارلوت وحسنها وجمالها وقد زادها الله ملاحة ورقة انقلب حبي الى ولهٍ وما كنت لاقصر عن دفع اضعاف هذا المبلغ لان الاوعاد المزخرفة لاتجدي شيئًا في هذه الحالة

قالت سسيل — انني لااللومك على هذا الامر فان . . . . افرنك لاتعد شيئًا مذكورًا اذا كان المقصود صرفها في سبيل الحب والنقمة

— وهل رفض اخوها ماقدمتهُ لهُ

ماكس — كلا فانهُ قبل في البدء

سسيل — وبعد ذلك

ماكس وبعد ذلك رجع عن عزمهِ وكتب لي بعد ٢ ايام يعلمني انهُ متأسف لعدم امكانهِ قبول طلبي

سسيل — ربما اعتراه الريب والشك

ماكس — كلا لاني عملت هذه الحيلة بمكر ودهاء عظيمين بنوع انهُ لم يشك في كلمة من كلامي

سسيل — لا باس فان مسعاك تأجل وماخاب فعن قريب سادخل باريس واساعدك على بلوغ اربك فاعتصم بالصبر الى ان نذهب الى باريس

قال الراوي — ومن ينظر بعين التبصر الى هذه الامرأة ولا يلعنها بكل لسان لانها لم تكتفِ بمال روبرت بك بل قصدت هتك عرضهِ وكشف ستر ابنتهِ

قال ماكس — اني محتاج الى نقود

سسيل — ان ما تطلبهُ تحت امرك لاننا اليوم عازمون على عمل القسمة الاولى اما العشرة الاف فرنك التي قبضناها من ثمن الحرش فقد راحت في ابواب المصاريف وانت تعلم ياماكس ان الاوراق المالية التي وجدناها في صندوق روبرت بك قد تكلفنا كثيرًا على مبيعها لانها تساوي مليونًا من الجنيهات

قال ماكس أمليونًا واحدًا فقط . . . لاريب ان هذا المبلغ ازهيد في جانب المصاريف التي كان يصرفها زوجك وقد قلت لي فيما سلف ان النقود تزيد عن هذا المبلغ

سسيل — نعم وقد استغربت انا ايضًا ذلك لانهُ مخالف لما جاء في عنهُ من اخبار تونس —

قال ماكس ولكن فريدريك قال لي ان لروبرت بك املاكًا كثيرة في جملتها هذا القصر وبيوت في باريس فيلزم مبيعها

سسيل — قد امرنا المسجل بعرضها للمبيع

ماكس — وابن المليون الان

سسيل — في هذه الخزانة الحديدية وهو اوراق بنوكة ولكن المبلغ زاد حتى بلغ . . . . . ١٢ من الفرنكات

ماكس — حسنًا فلنقتسم المبلغ — النصف لك والنصف لي

فاغتاظ فريدريك وقال له — انك لشديد الشره كثير الطمع فانا سنقتسم المبلغ لكل منا ثلثة

ماكس — حاشا ياحضرة السيد فاني لست بولد صغير بل قد خضت الاهوال بما يخولني حق النصف في هذا الميراث فهل لا تصادقين على كلامي ياسسيل

سسيل — لا اصادق على كل كلامك

فصرخ ماكس — كيف ذلك ألست انا الذي دبرت الحيلة واوقعته في الفخ . . . وحملت المسئولية الكبرى واستهدفت نفسي لاسهم الاخطار وألست انا الذي عرضت نفسي للاهوال بدخولي في خدمة روبرت بك ومن هو الذي احتال على نوالكم الارب بلا خوف ولا حرج وألست انا الذي قذفت برجال العدلية والحكومة الى ايدي الضلال وابعدتهم عن طريق الهدى اذ وضعت كيس النقود والريفولفر في كيس السائلين اللذين يعتبر وتهما اليوم انهما القاتلان دون غيرهما

قال فريدريك — نعم انك فعلت كل هذا ولكن ذلك من الامور التكميلية ونحن الذين وضعنا الاساس وكان يمكنا انا وسسيل ان نفعل بدون مساعدتك ولكنك لا تقدر على نوال حاجتك دون واسطتنا

ففرع ماكس سن النادم — وقال له متى تعلمت الشريعة ياموسيو فريدريك ولكن دعنا من الجدال فاني لا احبه خصوصًا اذا كان بين الشركاء فان زمنه يضيع سدًى ولذلك سابرهن لك ولسسيل على كون محبتنا ثابتة لا تتزعزع وان انسى ودادنا القديم والبرهان هو كوني اقبل بخمسمائة الف فرنك بشرط ان لا تنقص ريالاً واحدًا

قالت سسيل — حسنًا قلت فتعال واقبض هذا المبلغ وفي الحال هبت عاصفة مهواة زعزعت اركان البيت وكسرت زجاج النوافذ ولعبت بالابواب

كما تلعب ايدي سبا ولكن هولاء الثلثة كانوا لا يعبأُون بالحوادث الطبيعية وليس لها عليهم تاثير

القسم الثاني

الفصل الثالث

قال الراوي وكانت بتيت لوج كجنة ارضية او بستان زاهر فيهِ بيت كمنازل (السين) و(سين ومارن)

ومما وصف الواصفون وروى الرواة عن حب الباريزي عيش المدن الكبيرة فقد راياه يحب البساتين والبراري حبًا شديدًا مفرطًا والدليل على ذلك البيوت القريبة من باريز الممتدة على طول ٤٠ كيلومترًا حيث تقام وتشيد المنازل محاطة بالبساتين والاراضي فبعضها تبنى على اساس البساطة والبعض تدخلهُ الزخارف والتفنن الذي لا حد لهُ

اما تجار البورصة فانهم يصرفون مبلغًا كبيرًا من مواردهم في سبيل احكام بناء هذه البيوت فيجعلون فيها النقوش والزخارف اليونانية والرافانيـة والفرنسوية والدمشقية والمصرية والكرينادية والكونياهية والعجمية والاصبهانية ثم ينقشون الخطوط الفرنسوية والانكليزية والالمانية ويكتبون على الحجارة ما جاء في الانشاء في عصر لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ولويس السادس عشر

وما كان في بتيت لوج شيء من هذه الاشياء لان مشيده كان من الاغنياء العقلاء يفضل اتقان زينة البيت من الداخل على زخرفتهِ المفرطة من الخارج فلم يجعل فيهِ اعمدة وتماثيل بل جعل داخلهُ معرضًا للنور والهواء وشيد قاعاتهِ على قواعد عالية راسخة وكانت زخرفتهُ في اثاثهِ اذا احضر لهُ روبرت بك كلما ندر من مصنوعات الشرق وبسطهُ ومرايات فنيزيا وامتعة ايطالية وغرائب مصنوعات من الحديد والعاج وصحون من الصيني وامتعة صنعت في الصين

واليابان

وكان من اخص ما اتى به روبرت بك مكتبة صنعها احد ابناء المشرق ما رأى الراؤون احسن منها وفيها من الاواني اللطيفة ما تناهى حسنًا وكانت هذه المكتبة موضوعة في قاعة من الدور الاول واقعة بين محل روبرت بك ومحل كونستانس ومنها سلم يؤدي الى الدرجة السفلى وكانت القاعة المذكورة حاوية كل ما رق وراق من المزخرفات والغرائب

وكانت تلك القاعة مركز الاجتماع عائلة روبرت بك في النهار والليل (بعد العشاء) اذ كانوا يفتحون نوافذها الكبيرة فيدخل النسيم اللطيف متعطرًا بنفحات الغابة فينعش الفؤاد ويشفي العليل وكم من ساعة صرفها روبرت بك في تلك القاعة مع كونستانس وبول وشارلوت وصديقهم بريسون وابنته لويز الجميلة وكانت اثارهم تدل عليهم وبقيت الكتب التي كانوا يقرأون فيها في نفس محلها وكذا الجرائد فانها كانت مفتوحة على مكتبة من الابنوس ومن نظر الى التحرير الذي كانت تكتبه شارلوت للويز وقد تركته يعلم مقدار السرعة التي طرد فيها من القصر سكانه واصحابه بعد ان كانوا يتنعمون فيه

قال الراوي — وفي تلك الساعة فتح الباب المؤدي الى القاعة من صوب الدرج ودخلت سسيل وماكس ريويل وفريدريك اليها وكانت خزانة روبرت بك الحديدية موضوعة في ركن من اركانها وكانت السماء مظلمة بالغيوم الكثيفة تقذف من فيها بروقًا كانت تنير القاعة بانوار مختلفة فتظهر الاواني بالوان حمراء وزرقاء وخضراء كأن السماء تقيم الحجة على هذه الفعلة الشنيعة المنكرة

ففتحت سسيل الباب الخشبي المؤدي الى الخزانة ثم انارت ضوءًا من الغاز وفتحت الخزانة ولكن يا للعجب فانها لم تجد شيئًا من المليون و ٢٠٠٠٠٠ من الفرنكات التي وضعتها فيها من اوراق البنوكة فصرخت باصوات الحزن

والاسف . فسالها ماكس — ما بالك ياسسيل

وكانت سسيل مصفرة الوجه مرتعدة من الخوف والاستغراب فاجابتهُ بصوت متقطع ان الخزانة فارغة من المال

فسقط فريدبريك على الخزانة وجعل يفتشها فعثر على ورقة ولما قربها من النور راى انها كارت دي فيزيت لروبرت بك وكان مكتوبًا عليها بقلم رصاص هذه الكلمات

وصلني . . . . . ١٢ فرنك (الامضاء) (روبرت بك)

فقال ماكس ان هذه المسالة لأحق بان تكون من الروايات والتخيلات

فصرخت سسيل بهِ قائلة ما كس ما هذا الكلام ثم اندفعت على الخزانة تفتشها فلم تجد فيها شيئًا

وكان فريدريك قد اقترب من ماكس وقال لهُ بلسان الغضب أتنسبنا للسرقة

فاجابهُ ماكس — ان قرائن الاحوال تلقي الشبهة عليكم

فتداركت سسيل الخطب وحالت بين الاثنين وقالت مخاطبة ماكس — نعم لا بد وان تكون ايدي السارقين تلاعبت بهذا المبلغ العظيم — لاني ياماكس قد وضعت اوراق البنك بيدي منذ نصف ساعة في الخزانة وما تركت مفتاحها برهة ولا دقيقة فلا يمكن ان يقدر احد على اخذها سواي فهل تظن اني افعل ذلك ياماكس

قال ماكس — ومن السارق اذًا

فقال فريدبريك — ان السارق هو الذي وضع ورقة الكارت دي فيزيت وكتب وصولاً بالمبلغ ولكنهُ ليس ببعيد فلنفتش عليهِ

ودقت سسيل الجرس فحضر خادمان فسالتهما هل دخل غريب في القصر

فاجاباها كلا ياسيدة لان الباب الكبير قفل حين دخول هذا السيد مشيرًا الى ماكس واما الباب الصغير فلم يدخل منهُ احد

ولكن فريد بريك قبض على الرجلين وقال لهما وانا اقول لكما ان لا بد من كون احد السارقين دخل هنا منذ اقل من نصف ساعة وسرق مبلغاً عظيماً من اوراق البنوكة

ويلزم ان نجد السارق والا فاني اشنقكما على الاشجار لانه اذا صح قولكما بعدم دخول احد فتكونا انتما السارقين

فاجتهد الخادمان بتبرئة انفسهما ولكن فريد بريك قال لهما

هذا ما ننظر فيهِ في المستقبل والان اتبعاني لنجري البحث المدقق

فخرجوا وتركوا سسيل وماكس معاً

وكانت القاعة لها نوافذ على الحديقة وداخل البيت فوقفت سسيل في احدى النوافذ تنتظر الفرج فابرقت السماء وارعدت فانار البرق امامها وعاينت رجلاً لابساً طربوشاً احمر خارجاً من الحديقة وقد قفل الباب وراءهُ فاشارت اليهِ باصبعها قائلة هو هو بعينهِ فاقترب ماكس من سسيل لينظر ما الخبر ولكن الظلمة عادت فلم يرَ شيئاً فاخذت سسيل بيده وهي ترتعد وقالت لهُ اني نظرتهُ

ماكس — ومن هو

سسيل — زوجي

ماكس — أروبرت بك . . .

سسيل نعم هو

ماكس — خففي عنك الخوف فهل يبعث روبرت من القبور

وبعد ان سارا برهة وصلا الى بول والخدم وهما يفتشان بالمشاعل فصرخت بهم سسيل اسرعوا الى باب الجنينة فتسابقوا اليهِ والامطار هاطلة عليهم وفتحوا الباب فلم يروا احداً

وفي ذلك الحين انشق حجاب السماء وتبددت غيوم الظلمات فاشرقت الشمس ورمت على الارض اشعتها الذهبية

فقال فريدبريك — لم نجد احداً

فاجابت سسيل — لا شيء

قال الاميركاني — ليس ما توهمتهِ الا خيالاً وراحت كل المباحث سدى اما فريدبريك فانهُ لم يشنق الخادمين (كما توعدهما) اذ لم يرَ شيئاً من التهمة معلقاً فيهما

وفي تلك الليلة سافر ماكس ربويل الى باريس وفي الغد سافرت سسيل وابنها الى (بولنار مالزرب) في باريس حيث كان يقطن روبرت بك في زمن الشتاء

القسم الثاني

الفصل الرابع

ولنعد الان الى كونستانس واولادها فنقول — ان بول بعد زيارتهِ الموسيو بريسون ذهب معهُ لزيارة عميلهِ ثم بعد يومين سافر الى (دوفينه) بوظيفة جيدة جداً وذات مستقبل حسن وكانت هذه الوظيفة ادارة معدن حديدي وتحضيره للاستخراج

وقبل سفر بول قال لهُ الموسيو بريسون اذهب واخبر معلميك بانك مسافر وانا ساذهب الى بيتكم واخبر والدتك وادعوها مع شارلوت الى العشاء عندنا لاني ارغب ان نجتمع سوية

فتم الامر كما شاء المسجل وما عاد بول الى المنزل حتى رأى امهُ واختهُ مهتمتان باخذ اهبة سفره وكانت كونستانس كانها لم تحزن لسفر بول وقالت لهُ ان رحلتك يتوقف عليها حسن مستقبلك والمستقبل افضل من كل شيء وانا وشارلوت مستعدتان لان نحمل نفسنا كل المشاق لنوالك السعادة

فظن بول انها تعني بذلك زواجه بلويز وطار فؤاده من الفرح وقال — لو لم يكن الامر متعلقاً الا بي لما كنت ارحل

قالت كونستانس . نعم اني عالمة بانك تفتكر بشقيقتك اكثر ما تفتكر بنفسك فالله در قلبك ما اشرفهُ وانت اهل لان تدعى ابنًا لروبرت بك

ولما قالت هذه الكلمات الاخيرة سالت دمعة من عينيها فقبل بول والدتهُ وقال لها

ان صديقنا بريسون يروم ان تاكل معهُ على العشاء

كونستانس — وهل قبلت

بول — نعم — وزدت على القبول بان اعلمهُ بمجيء جاك ديديه لشارلوت وسلوكهِ الحسن نحوها فسُر فؤاده فرحًا بهِ وقال لي انهُ يستحق المكافاة وها انا ذاهب لدعوتهِ لان شارلوت ستسر بذلك

وهل تحبهُ — قالت نعم — قال ان حضور الموسيو (ديديه) في هذه الحال يزيدنا سرورًا ويكون هذا العشاء كافتراح خطبة

فجاء العشاء واجتمع الجميع بمنزل الموسيو بريسون وكانت ليلة عظيمة لم تدخل فيها الافراح لان تذكار مقتل روبرت بك لم يبرح من فكر احد من المدعوين ولكن الشبان والشابات تولد في قلوبهم الامل اذ رأوا من تبسم بريسون وكونستانس وكان حضور جاك ديديه قد انشأ آمالاً لا يحققها الا الزمن الطويل

ولم يتألم بول كثيرًا للفراق وكذا لويز ولم تتوجع لهُ شارلوت وكونستانس حبًا بمستقبل بول

ولما رام بول السفر قبل لويز في وجنتيها وقال لها أيجمعنا الزمان بعد هذا الفراق

فاجابتهُ لويز بقولها — لابد من حضورك هنا بالرخصة بعد ثلثة اشهر

قالت شارلوت لبول — أتكتب لنا في كل اسبوع مرة

بول — سا كتب لكم كل يوم ثم عانق والدتهُ واختهُ شارلوت وخرج مع جاك ولما صارا في المحطة قال بول لجاك

اليك اسلم اعز ماعندي في الدنيا وهن لو بزبر بسون ووالدتي وشقيقتي فاحرص عليهنَّ وكن حاميًا لهنَّ من كل الطوارق

قال جاك — اني سأعتني بهنَّ كما يعتني البخيل بدنانيره واضعهنَّ في الفواد بل في العيون فكن في ثقة واما

ثم تعانق الصديقان بل الاخوان ثم سحب البخار العجلة المقلة بول الى جبال الالبة الشامخة بانفها الى السماء

ولندع الان عائلة روبرت بك الحقيقية ونعود الى العائلة الخائنة فنقول — بينما كانت سسيل في بولفار مالزرب دخل عليها ماكس روبل (الخادم الخوان) وكان ابنها خارج البيت فسالها ماكس ابن فريدريك

سسيل — قد خرج من هنا

ماكس — كعادته الجارية — اتعلمين ياسسيل ان ابنك صانع الان مايلقي علينا الشبهة ويجذب الينا انظار الحكومة

سسيل — وما ذلك

ماكس — لااعني بذلك ضياعهُ ما خصهُ من الورثة قبل ان يقبضهُ بل اريد بقولي هذا انهُ اصبح كالحميا ممزوجًا بالنساء والرجال حتى جعل حالنا في اشد الخطر فضلاً عن كونهِ اصبح معروفًا في الحانات والتياترات ومحلات لعب القمار وفي بولفار الايطاليين حتى اصبحت الصحف الصغيرة تشتغل بامره موضحة سره

وكانت سسيل تحب ابنها محبة عمياء فقالت لهُ دعهُ ياماكس يلتذ في ايامهِ هذه بما ينسيهِ ايام الذل الماضية لانهُ ذاق العذاب اشكالاً والوانًا

قال ماكس — اذكري ياسيدتي سسيل ان من واجباتك ردع فريدريك عن غيهِ امثلا تنتبه الينا رجال العدلية لان من الواجب على مثلنا ان يعيش منفردًا عن الناس لحينما نقبض القناطير المقنطرة من الذهب

سسيل — ربما كان الصواب حليف قولك وسانصح فريدريك كما اشرت

ولكن اخبرني بما عندك

ماكس — عندي البعض من اخبار كونستانس

سسيل — وهل دخلت عندها

ماكس لم ادخل عندها بل اقتصرت على مراقبتها على قدر الامكان وانت تعلمين انفراد الشارع الواقع فيهِ منزل كونستانس واولادها وقلة المارة فيهِ وذلك مما يجعل الناس محدقين بي ولكن متى استولينا على الملايين التي سنقبضها من ثمن عقارات روبرت بك تخلف هذه السعادة اسفنا اذا رأينا من اللزوم الرحيل من فرنسا

سسيل — ماذا تقول ولماذا ترحل وهل تخشى شيئًا

ماكس — ان قلبي يدلني على كون الخطر محدقًا بنا ومن الضرورة الاسراع بمبارحة الديار

سسيل — وما الذي اشغل بالك

ماكس — قلت لك ان عندي من اخبار سسيل كونستانس وذلك انها بعد ان كانت قاطعة الامل مسلمة نفسها في يد الملل عادت الى السرور والانشراح وقد فتشت على السبب الذي اتى بهذا التغيير فلم اجده ولا اظن ان هذه الامراة تسلو زوجها حالاً ومع ذلك فقد اصبح بيتها مستكنيًا من النقود وما شاكلها وزادت عدد الخدم وفي كل يوم تركب في العربة وتذهب

سسيل — لا بد وان تكون تبعتها

ماكس — مرة واحدة وقد وصلت بها لمنزل بريسون وهو من اكبر اعدائنا وقد رايته فرحًا منشرحًا وكل ذلك يستدعي الانتباه والمهارة

ومع كل ذلك فقد جد شيء اخر وهو غياب بول فهل رحل او هو مريض — ذلك ما أجهلهُ — وقد بعثت باحد الرجال عندهم ليسال اي ساعة يمكن مقابلة الموسيو بول روبرت (وكانت تلك واسطة لمعرفة الحقيقة — فقال لي اذا شئت ذلك فاصعد الي الطبقة الثالثة من المنزل وقد تجسست احوال

بيت روبرت مدة ثلاث ساعات فرأيت احد المصورين من اصدقاء بول وهو جاك داخلاً عندهم وقد رأيت شارلوت تخرج من البيت لمشترى بعض الحوائج ولكنها لاتخرج الا مع جاك ووالدتها أولا ترين ان هذه الامور كلها لو اضفناها الى فقد المليون و . . . . ٢ من الفرنكات والكارت دي فيزيت الموضوعة بدلاً عن هذا المبلغ — كل ذلك مما يقلق الفكر ويريبنا العبرة بل العبر

قالت سسيل — ان في فقد المليون و . . . ٢٠٠ فرنك سرًا مصونًا لانعلمهُ واما ما افدتهُ من سعة عيشهم فهو نتيجة هذه السرقة

ماكس — فمن السارق

سسيل — لاريب ان السارق هو بول روبرت لانهُ لابد ان يكون معهُ مفتاح الخزنة وهو يعلم الطرق الموصلة لفتح الخزنة وهذا هو صاحب الطربوش الاحمر الذي نظرتهُ خارجًا من باب حديقة القصر

ماكس — ان ذلك ليس ببعيد عن حد الامكان

سسيل — فعلى ذلك لا خطر علينا في الوقت الحاضر وانا لا زلت على الوعد وعزمي ثابت على ان اعضدك في نوال شهوتك من شارلوت لاتنتم انا منها فانتظر لحينما نقبض فاني قد عرضت العقارات للبيع غدًا وحتى قبضنا سهل علينا خطف شارلوت رغما عن عناية والدتها ومراقبة حراسها

فضج ماكس باصوات الفرح

سسيل — بعد ثمانية ايام نستولي على النقود ثم بعد ذلك باربع وعشرين ساعة تكون شارلوت بين يديك فقضي منها حاجتك

الفصل الخامس

وكانت قاعة المسجلين تفتح في كل اربعاء لبيع العقارات بيعًا اختياريًا لا اكراهيًا وهذه القاعة واقعة في ساحة (شاتيليه) بنمرة ١٢ من ناحية فيكتوريا وفي داخلها حجر كثيرة

ومواعيد المزايدات المقررة هي في الظهر ولكنها تبتدي اعتياديًا في الساعة ١ بعد الظهر واما المسجلون فانهم ياتون اليها الساعة ١ الا ربع

وفي خارج القاعة يقف محضران كل منهما في طرف من باب قاعة المبيع وفي يديهما سلسلة و بالقرب منهما يقف رجل لابس ثوبًا اسود

ومتى وصل المسجلون يصرخ قائلاً

من الذي طلب الموسيو روبين . ومن يريد المحادثة مع الموسيو اومون

فيدخل عملاء هذين الشخصين في قاعة خصوصية و بالقرب من هذه القاعة قاعة اخرى يقف فيها المسجلون والمنادي بالمزاد ورجل وظيفتهُ ايقاد الشمع الصغير وفي قطعة سفلى من القاعة قد وضعت مقاعد تزيد عن العشرة يجلس عليها المزايدون ومسجلوهم ووراء ذلك يقف العموم او المتفرجون

ففي الساعة واحدة بعد الظهر نهض مسجل ورثة روبرت بك (سسيل وابنها) ورقا الى محل عال ثم جلس على كرسي هزاز وجلس المنادي عن يساره وموقد الشمع عن يمينهِ

فاعلن المسجل للعموم ان ثلاثة عقارات معروضة للمبيع من اصل تركة المرحوم روبرت بك وهي بيتان في باريس وقصر بتيت لوج ثم ذكر الشروط المطلوبة وقال بعد ذلك انهُ اذا تقدم احد لمشتري الثلاثة دفعـــة واحدة فيجعل ذلك بيعة واحدة تعرض للمزاد وبما ان العقارات المذكورة غير مرهونة فالدفع يكون بعد ٨ ايام

ثم طرحوا في المزاد اولاً قصر بتيت لوج بثمن مقدر وهو . . . . . ٤ فرنك فاوقد الموقد شمعة صغيرة جدًا الا نلبث بضع ثوان وقال هذه الوقدة الاولى فاخذ المزاد في الارتفاع الى ان وصل القصر الى ٥٥٠ الفًا من الفرنكات وكانت الشموع الصغيرة في هذه المدة القصيرة توقد الواحدة بعد الاخرى ثم صمت المزايدون فصرخ المنادي قائلاً . . . . ٥٥ فرنك فاوقد الموقد شمعة وقال هذه الوقدة الاخيرة ثم كرر هذا العمل مرتين ثانيتين وصمت .

قال المسجل — لقد بيع قصر بتيت لوج الى السيدة . . . . بمبلغ قدره ٥٥٠٠٠٠ فرنك

وهكذا جرى في مبيع البيتين الواقعين في باريس فبلغ الاول ١١٤٥٠٠٠ والثاني ١١٦٠٠٠٠ من الفرنكات

فسال المسجل الموكل بالمبيع ايوجد من يشتري العقارات الثلثة دفعة واحدة

فاجابت اصوات كثيرة نعم نعم

قال المسجل — فعلى هذه الحال نطرحها في المزاد تحت مبلغ قدره ٢٨٤٥٠٠٠ فرنكا

فحصل ضجيج في القاعة اذ كان التجار يتامرون مع المسجلين

وكان في القاعة كثير من رجال البنوكة والمقاولين وأناس بثياب بعيدة عن ثياب الغنى فلو راهم الناظر خارج القاعة لتوهمهم من السائلين المساكين

قال الراوي — فصرخ المنادي قائلاً . . . ٢٨٥٥٠٠٠ وفي تلك الساعة دخل الموسيو بريسون وسلم على زملائهِ متبادلاً معهم التحية والتبسم ثم جلس على احد المقاعد متاملاً

وكانت المزايدات ترتفع الى ان بلغت . . . ٢٨٨٠٠٠٠ فرنك وصرخ الموقدان هذه الشمعة هي الاخيرة

فابتدات المزايدات حينئذ حتى بلغت . . . . ٢٩٠٠٠٠٠ فرنك فصرخ الموسيو بريسون قائلاً

عليَّ بثلاثة ملايين

فسال احد المسجلين من الموسيو بريسون الى اي حد يمكنك الدفع

فاجابهُ هذا بقولهِ — الى اي مبلغ يراد

فخاف الكل العاقبة وصمتوا ورسى المزاد على الموسيو بريسون

فقال المسجل — لقد بعنا الكل الى الموسيو بريسون

فانحل عقد المجتمعين وعادوا الى حيث ولنترك هذه الصبعة ايام لنصل

الى اليوم الثامن وهو يوم الدفع حيث يقبض البائعان (سسيل وابنها) في منزلها في بولفار مالزرب فنقول كانت سسيل وفريدبريك ينتظران الدفع في قاعة من المنزل مفروشة بمفروشات الشرق وفي صدرها صورة لكونستانس كبيرة جدا

وكانت سسيل . تتساب في القاعة من هنا الى هناك كانها مسجونة فيها وقد عدمت الصبر وكرهت الانتظار

وكان فريدبريك مطمئن البال ساكنا لا يتحرك لانه معتاد على ان لا يتفكر في المستقبل

ففي الساعة ١ و٥ دقائق اخبر الخادم ان الموسيو بريسون ورجلاً اخر في الباب

فامرت سسيل الخادم بادخالهما

فدخلا ووراءهما رجل ملتف بعباءة وقبعته العريضة مقدمة على وجهه لكي تستره ولم يكن له ذقن

فاشار اليه الموسيو بريسون وقال ان هذا هو عميلي — ثم خاطبه قائلاً اجلس ياسيدي فجلس الرجل بلا خطاب ولا جواب واخذ صحيفة من جيبه وصار يقرا فيها كان لا علاقة له مع الحاضرين . فجلس المسجل الاخر امام المكتبة وقال هذه هي صورة التنازل فلم يبق الا التوقيع عليها

فوقعت عليها سسيل وابنها ثم تقدم الموسيو بريسون الى صورة سسيل المعلقة واخرج منها ورقة وقال — هذه ورقة على الحكومة تساوي اكثر من ٢٠٠٠٠٠ من الفرنكات

فلم تفتكر سسيل بان هذه الورقة المالية تخصها اذ وجدت في بيت روبرت بك وهي وريثة له بل تقدمت لتاخذها من الموسيو بريسون

فحال بينها وبينه الرجل الملثم بقوة وقال لها اسمعي لي

فقلقت افكارها وتحسرت فيما تعمل ولم تعلم من هو هذا الرجل وكيف فعل ما فعل

ولكنها ما لبثت قليلاً حتى كشف الرجل قبعتهُ ولثامهُ فظهر راسهُ بشعر ابيض فوضع يديه على صدره واحدق نظره بسسيل

فاصفر وجه سسيل وصرخت باصوات الاندهاش والحيرة ورجعت الى الوراء

قال الرجل (وهو الذي كان يكلم الفلاحين في الغابة) أظنك عرفتني فانا روبرت بك حقًا بلا بهتان

فالتخذلت سسيل ونزلت عليها صاعقة الخمدة ولا ريب ان من راى الرجل ميتًا وحضر دفنهُ يحيط بهِ الاندهاش اذا راه حيًا بعد ذلك

ولما سمع فريدبريك والمسجل الاخر هذا الكلام من لسان روبرت بك اخذتهما الحيرة والدهش ونهضا من كراسيهما وكان فريدبريك اكثر تعجبًا لانهُ ما كان يعتقد بقيامة الاموات في دار الاحياء فصرخ بهِ قائلاً

كذبت وما هذه الا اضحوكة او العوبة فان روبرت بك توفي . . . وانا ابنهُ الوحيد ولا وراثة لغيري بعده

فالتفت روبرت بك الى الذي ادعى بكونهِ ابنه ونظر اليهِ بعين الاحتقار والامتهان ولم يتنازل للرد عليهِ بل قال للموسيو بريسون

ياعزيزي بريسون اجعل هذه الورقة المالية في جيبك الى ان ازيف ورقة وفاتي الصادرة من دفاتر الحكومة

فسال المسجل الثاني من الموسيو بريسون اهذا هو روبرت بعينهِ فاشار اليهِ هذا بالايجاب متبسمًا

فصرخ المسجل بالشوم الدعوى فمن يدفع مصاريف المبيع واجرتي انا

وكانت سسيل كمن بلي بداء السكتة لاتبدي حركة ولا تنفوه بخطاب بل كانت متحيرة كيف يبعث روبرت حيًا لانها نظرته يخبط في دمائهِ ثم رافقتهُ الى المقبرة وكيف يحيى ويأتي امامها بعد ان مات وكان قد قتل عاشقها وطردها عقيب محاولتهِ قتلها ولم تشا التكران لانهُ لا فائدة منهُ ولكنها كانت ام الدها والهة

الحيل والمكر ومولفة الخداع فنهضت وقالت

اني اعترف ان هذا هو زوجي روبرت بك ولا اعلم كيف انتهة الحياة بعد الممات ولكنني امراة روبرت وهذا هو زوجي

فاجابها روبرت بك بقوله لقد اصبت فهذا بيتك ولكن هذا الشقي الذي يدعي بكونه ابني فانا لا اعرفه مطلقاً لانه فاق السن المحدود وليس له علي شيء ولا يحق له ان يطالبني بنوبة الشروري

ثم اشار اليه بالخروج قائلاً — اخرج عني يا ابليس فخرج فريد بربك وهو يجر ذيول الخجل والفشل

ولم يبق مع روبرت بك الا سسيل والمحامين فخاطب سسيل قائلاً —

بما انك ترغبين البقاء هنا فانا اترك لك البيت وما فيه ثم اخذ بيد بريسون وقال له اخرج بنا ياصاح

وكان المحامي الاخر يقول بالاصبة الشيطانية يا للصفقة الابليسية . من يدفع لنا المصاريف

القسم الثاني

الفصل الرابع

ولما وصل روبرت بك و بريسون الى الشارع ركبا عربة وقالا للقائد ان يوصلهما الى سراي الحقانية

وكان بقصدهما زيارة القاضي اوبري ليوضحا له الغلط الذي حصل وظنه الجميع حقيقة

ولم يكن في ذلك اليوم عند الموسيو اوبري شغل كبير بل كان جالسًا في الساعة ٢ بعد الظهر في مكتبه فادخل روبرت بك وبريسون حالاً

ولما دخلا مد اوبري يده للسلام على الموسيو بريسون واندهش اذ راى معهُ رجلاً غريبًا

فقال الموسيو بريسون — اتشرف بان اعرفك بحضرته (واشار الى روبرت بك) لان عنده ايضاحات دقيقة ومفيدة عن مقتل بتيت لوج

فسلم القاضي على روبرت بك — وقال ان هذه الايضاحات سيكون لها شان وقيمة لان القضية مشكلة معضلة

قال بريسون للقاضي — ألم تصلك الايضاحات من اميركا

اوبري — نعم ولكن . . .

بريسون — تكلم ولا تخشَ لان حضرته صاحبي وهو ممن يكتمون السرّ ومع ذلك فمن قصده ان يسمع ما عندك ليعلمك بما عنده

اوبري — وهو عنده شيء مهم

بريسون — أهم مما يمكنك تصوّره

اوبري — اخبرك بالخبر بدون ذكر الاسماء

— فاقول ان الامرأة (قصد بها سسيل) دخلت في كل المهن واغترفت من بئر كل الحرف ثم صارت مشخصة واتخذت الرقص سبيلاً للتعيش ثم صارت معلمة ثم مديرة ملعب في سان فرانسسكو

وكان شريكها وعاشقها الاميركاني المعلوم ثم ولج الاثنان في الهند وانضما الى قبيلة ثائرة وصارا يقتلان المارّة ويسلبان ابناء السبيل وينهبان ما يقدران على نهبه وكان الولد قد بلغ سن الرجال فاشترك معهما في هذه الاعمال وكانت امهُ تربيهِ على طريق اللصوصية لكي ينشأ عليها ويصير وحشًا ضاريًا — وانا اخبرك ان التحقيق الذي صنعناه يظهر منهُ ان الام وولدها لم يشتركا ماديًا في المقتل

فاشار الرجل الذي مع بريسون بالسلب

فقال لهُ القاضي — أترتاب في ذلك وذلك لا ريب فيهِ ولا شك خصوصًا وقد كان الابن مريضًا ليلة القتل ولم يخرج من البيت هو ووالدتهُ

فاجابهُ روبرت بك لا يبعد ان يكون خلاف ما تقول

قال القاضي — وكيف ذلك

روبرت بك — ان الرجل تمارض لاتمام الحيلة والطبيب لا يبعد ان يكون كاذبًا في قولهِ

القاضي — اصبت ولكن ما الفائدة من ذلك اذا كانا لم يخرجا من البيت

روبرت بك — أحقيق ما نقوله ياحضرة القاضي

القاضي — عندي في دفتر هذه الدعوى صورة الشهادات المأخوذة من البواب وامرأتهِ اللذين اثبتا كون الولد وامهِ لم يخرجا في تلك الليلة وان البيت كان منارًا في طول الليل وقد صعدت امرأة البواب الى بيتهم في الساعة ٧ صباحًا فرأت الولد على الفراش ووالدتهُ تعطيهِ الادوية وتقضي لهُ حاجاتهِ فهل يمكنك تزييف هذه البراهين

روبرت بك — اني اصدق بما قالهُ البواب ولكن ماذا ينفع النور الموقود طول الليل وماذا يجدي وجود الولد وامه في الساعة السابعة صباحًا . . . فالقتل قد تم في الساعة عشرة ونصف افرنجية ليلاً على بعد ٣ اميال من باريس وفي الامكان ان يرجعا الى سكة فولياتين قبل الساعة السابعة

القاضي — صدقت ولكن خروجهم ودخولهم غير مثبت ولا يمكن مطلقًا فان البواب لا يبرح من مركزه

روبرت بك — لا انقض ذلك فانهما لم يخرجا من باب البيت المشيد على سكة فولياتين ولكنهما خرجا من طريق اخر ودخلا منهُ

القاضي — ان تفوهك بهذا الكلام يقضي عليك بالاتيان بالبراهين والادلة لا ان تبني كلامك على الشك والظنون

روبرت بك — ليس عندي الان من البراهين سوى ان سسيل شامبلي وابنها فريدريك والاميركاني قد اشتركوا في القتل وربما تتوهم ان خروج سسيل وابنها في الليل صعب بدون علم البواب

القاضي — نعم

روبرت بك—ان معرفة الطريق التي خرجا منها سهلة اذا كان عندك رجل من الشرطة بارع صاحب مكر وحيل

القاضي—ان الرجل الذي تريده عندي فاخبرني بما تريد

روبرت بك—ان الولد وامهُ يسكنان بيتًا في سكة فولياتين والاميركاني يسكن بيتًا ملاصقًا لبيتهما وان كان على سكة اخرى فالحبطان واحدة وقد فتحا بين البيتين بابًا سريًا للمواصلات واذا كان رجلك نبيهًا يعرفهُ حالاً وانا اقول ان سسيل وابنها خرجا من البيت الذي يسكنهُ الاميركاني ويمكنك تفتيش البيتين بدون تكلف لانهما معرضان للتاخير

فهرول القاضي ودق الجرس

ثم قال لروبرت بك—اسمح لي ياسيدي وقل لي هل شريكهما الاميركاني الذي ذكرتهُ هو ماكس ريوبل

روبرت بك—نعم

القاضي—انهُ لم يكن في باريس حين تم القتل

روبرت بك—صدقت ولكننا سنعلم اين كان وكيف تبعهُ الولد وامهُ

قال القاضي للموسيو بريسون—ياعزيزي ان حالة اصحابك اخذت في التحسين

فتبسم الموسيو بريسون

وفي تلك الساعة اتى الخادم فامرهُ القاضي بان يدعو بريشو من المحافظة—هو في الباب .

القاضي—قل لهُ ان يبقى وعد لتاخذ ورقة مني لهُ

فخرج الخادم ثم عاد مسرعًا

وكان الموسيو اوبري قد تمم كتابة التعليمات اللازمة فاعطاها للخادم وقال لهُ قل لبريشو ان يركب عربة لانني اريد الجواب قبل ان تمضي ساعة واحدة

ولما انفرد الثلاثة قال روبرت بك للقاضي—تكرم باحضرة القاضي

باتمام حديثك لاخبرك بعد ذلك بخبري وما اعلمهُ عن هذه القضية

قال القاضي—قد اخبرتك طرفًا عن الاميركاني وأقول لك الان انهُ كان قد غاب منذ خمسة اشهر ثم ظهر بعد موت روبرت بك وهو يزور دائمًا سسيل في بلفار مالزرب واذا كان لهولاء الاشخاص يد في المقتل كما نقول فلا ريب انهم هم الذين اغروا على ذلك واما القاتلان الحقيقيان فهما روسينيول وباسرو وقد حضر تقريرهما عزيزي بريسون

فتبادل المسجل مع روبرت بك نظرات ولكنهما لم يعترضا القاضي

قال الموسيو اوبري — على ان هذين السائلين قد انكرا ذلك وربما اضطررنا الى الحكم عليهما بدون اقرارهما وقد نسيت ان اخبركم بشي غريب عجيب وهو ان جوستين خادم روبرت بك الامين واحد من شاهدوا المقتل قد اختفى ودرست اثاره ولم نعلم ماذا جرى بهِ وقد عجزنا عن وجود قائد العربة ايضًا . . .

قال روبرت بك —ان وجود سائق العربة ياتيكم بالبرهان الكافي ولكن لاتقطع الامل فان عندي برهانًا اخر قويًا

الموسيو اوبري — تكلم تكلم . . .

روبرت بك — ان اوراقك تدل على غياب جوستين من القصر وانا اقول لك السبب وهو ان اسم جوستين ستارة لرجل اهم منهُ فجوستين هو الاميركاني ماكس ريوبل صاحب سسيل شامبلي وشريكها وعاشقها وما لبس ماكس برقع الخادم الا ليسهل المقتل و يساعد القاتلين ولذلك غاب منذ ٥ اشهر وصرف هذه المدة في خدمة روبرت بك مترصدًا اليوم او الوقت المناسب للقتل ولما تم لهُ الامر على ما يريد عاد الى اسمهِ القديم ماكس ريوبل ليقتسم مع شركائهِ تركة المقتول

قال القاضي — احق ما تقول ومن انت وكيف تعرف . . . .

روبرت بك — بالله عليك ياصديقي بريسون عرفهُ بي

فتقدم المسجل وقال للقاضي – هو صديقي العزيز واخي الحبيب شارل روبرت بك

فاخذت الحيرة الموسيو اوبري وصرخ منذهلاً اهو المائت

المسجل — هو الذي ادعوا بموته

قال روبرت بك – اسمع لي ياحضرة القاضي ان ابين لك كيف سجلوا موتي واناحي بعد وذلك ان التحقيق الذي صنعتهُ يدلك على اسباب سفري الى باريس يوم حصل المقتل وتعلم ايضاً التعليمات التي اعطيتها والساعة التي ارغب العودة بها الى قصر بتيت لوج وقد كنا اتفقنا على ذلك على مراى من جوستين الخائن ومسمع ولا ريب انك لاتنسى بان ذلك سهل لهُ تحضير وسائط القتل وصنع المكايد لوقوعي وقد وقع محلي رجل اخر

الموسيو اوبري – من هو هذا الرجل الاخر

قال روبرت بك – و بعد ان مضت الساعة السادسة من ذلك النهار وكنت قد تممت اشغالي دخلت منزلي في بولفار مالزرب لاخذ بعض الحاجات منهُ وكان من قصدي ان اتعشى في احد الفنادق واركب العربة مسافراً الى اورليان ولكنني وجدت في البيت تذكرة زيارة لاحسن اصدقائي في تونس وهو الجنرال بن سعيد وقد كتب لي عليها هذه الكلمات بقلم رصاص

(علمت انك في باريس وفي عزمك العودة الى قصرك فاحضر حالاً الى (كران اوتيل حيث انا)

وكان بن سعيد ياحضرة القاضي رجلاً هماماً و بطلاً مقداماً لهُ في تونس من النفوذ ما يطول الافلاك ومودتنا وثيقة منذ عشرين سنة وكنت اعتبر رجاه هذا كامر فذهبت الى كران اوتيل فوجدتهُ بانتظاري فقال لي

– ان مركز الباي وسلطتهُ لفي خطر مبين ولا يخلصهُ من هذه الورطة الا انت فانهُ في حاجة الى افكارك ومشورتك فاذهب وخلص (الصدوق) من المكايد المنصوبة لها وهو في انتظارك فيلزم ان تسافر الليلة في وابور

الاكسبريس في الساعة الثامنة ومتى وصلت مرسيليا تسافر بالسفينة التي اتيت بها من تونس فارحل حالاً لان ساعة الوفاء اقبلت فعليك بمكافاة الباي عما غمرك به من الانعام والاكرام وقد اصاب ابن سعيد لان ثروتي هي من تكرم الباي

فقلت له لا بد من اخبار امراتي واولادي الذين ينتظرون في الساعة العاشرة فما العمل

قال — هذا اصنعه انا فقد قال لي بواب بيتك ان قصرك قريب من باريس

فاذهب معك الى ليون ومن ثم ازور مدام روبرت لاني في شوق الى زيارتها

فقلت — هيا بنا فقد بقي لي ساعة ونصف اصرف بعضها في الاكل واما انت فانك تنتظر وابور الساعه ٩ وتركب به الى ان تصل محطة شوازي لي روا حيث تطلب خدام روبرت بك فترى خدامي وعربتي في انتظارك

فاكلت انا وابن سعيد في فندق ليون وفي الساعة الثامنة ركبت الاكسبريس بعد ان اوصيته بان يبلغ بعض الكلام الى بيتي وامراتي ثم ودعته وسار بي القطار الى البحر المتوسط ولكن صاحبي سار الى الموت برجله — فوا اسفي عليه . . .

القاضي — فعلى ذلك يكون الجنرال ابن سعيد المقتول عوضاً عنك

روبرت بك — نعم ياسيدي

القاضي — ولكن كيف لم يعرف الفرق

روبرت بك — ان كل الناس غروا به حتى خدامي ومستخدمي السكة الحديد ايضاً

والداعي الى هذا الاشتباه انما هي العاصفة المهولة التي كانت ثائرة في تلك الليلة وقد اتت بالظلمة والامطار وكان ابن سعيد اشبه الناس بي ويلبس ملابس

مثل ملابسي اي السترة والطربوش الاحمر وكانت ذقنهُ مثل ذقني التي حلقتها بعد رجوعي لكي لا يعرفني البعض من الاعداء فمشى ابن سعيد ورا المسافرين الى ان وصل الى عربتي ولما لم يكن غيرها موجودًا دخل فيها بدون تردد

وكانت سسيل وابنها في الغابة فلم تر الا نورًا من انوار العربة فلم تعرفني في الظلمة والباقي يظهر لك من كون الرصاص شوه الوجه فاصبحت الهيئة مغيرة ولا يمكن معرفتها وذهبت الجثة كانها جثة روبرت بك

القاضي كلما قلتهُ ممكن ولكن قل لي كيف لم يكن مع الجنرال اوراق تبين من هو وما هي صفاتهُ

قال روبرت بك — انهُ وصل باريس في قطار الساعة ٥ و ٤٠ دقيقة ولم يكن معهُ وقت سوى لزيارتي ولما لم يجدني عاد الى كران اوتيل وغير ملابسهُ عندما كنت حاضرًا ومع ذلك فان ملابس الجنرال موجودة في كران اوتيل لا يعرفون اين يبعثونها لهُ فاذا اردت التاكيد اطلبها فكتب القاضي مفكرة بذلك

قال روبرت بك — ولم يكن مع الجنرال سوى كيس غاص بالذهب

قال بريسون — هو الكيس الذي وجدتهُ مع الرجلين السائلين وقلت لك انهُ ما وجد قط مع صديقي روبرت بك

فاخرج القاضي من احد الصناديق كيس الدراهم الذي وجد مع باسرو .

وقال لروبرت بك — أهذا هو

روبرت بك — نعم

فصمت الموسيو اوبري وقال للمسجل بريسون اقسم بالشرف ان هذا هو شارل روبرت بك

الموسيو بريسون — اقسم بالشرف انهُ هو هو بعينهِ ولست انا وحدي المعترف بذلك بل قد اعترفت بهِ سسيل شامبلي

الموسيو اوبري — متى كان ذلك

المسيو بريسون — منذ أقل من ساعة وكان ذلك بحضور فريد بريك

وزميلي كيفرين المسجل وكانوا مجتمعين في بولنار مالزرب للحصول على ثمن تركة روبرت بك التي اشتريتها انا

فصرخ القاضي — انك ارتكبت خطأ جسيماً فاذا كان هولاء القاتلين كما اكد ذلك روبرت بك وكما يتضح من سلوك ماكس ريوبل الاميريكاني فلا ريب عندي انهم يعتصمون بالفرار للنجاة من قصاص العدلية

روبرت بك — لا ياسيدي فانهم لم يزالوا يجهلون ان عندي بينة وبراهين جلية تثبت عليهم الذنب الفظيع وعلى ظني ان من العبث القبض عليهم قبل ان نجد دومينيك

الموسيو اوبري — أتعلم محله

روبرت بك — يمكن . . . اذا كان حيًا

اوبري — ولما لم يظهر . . . ربما يكون شريكًا للقاتلين

روبرت بك — كلا . . . ان دومينيك كان في خدمتي منذ ٥ سنين وهو يحبني محبة شديدة هو بذلك يكافئني عما صنعته معهُ لانني انقذته من مخالب الدهر وخلصته من ايدي الشقاء والجوع واذا كان دومينيك حيًا — كما اظن — فلا ريب انهُ لم يتاخر عن الظهور الا لامرين — الاول — جراحاته — والثاني خوفه من ان تقبض عليهِ الشرطة لمخالفة سابقة ولكنها غلطة صغيرة لان دومينيك كان في الجندية فصنع مخالفة صغيرة فحكموا عليهِ بالسجن وكان ذلك في اخر زمن خدمته الجندية فهرب تخلصًا من السجن وولج تونس فوجدتهُ فيها وكان خائفًا جدًا من ان تقبض عليهِ الشرطة ويصدر عليهِ حكم صارم لان العسكرية لا تعفو عن الصغير والكبير

قال القاضي — اذا لم يكن لهُ ذنب غير هذا فليأتِ اليَّ ويقول الحقيقة وانا اعدك بالشرف بان استمنح العفو عنهُ من الوزير

قال روبرت بك — ان هذا الوعد قد ازال الموانع

وفي تلك الساعة قرع الباب فقال القاضي فليدخل من في الباب

فدخل الخادم وقال للقاضي — ان بريشو قد حضر وهو يسال ان كان يسمح له بالدخول

قال القاضي — فليدخل

فدخل قصير القامة نحيف الجسم وعليه ملابس تشبه ملابس المعلمين فسلم على القاضي و بعد ان رد له القاضي تحيته سالهُ (القاضي) قائلاً — ماذا صنعت

قال الرجل — اني شاكر لجناب القاضي لثقتهِ بي ولكنني في الوقت نفسهِ اومل ان لا يبعثني مرة اخرى الا لمسائل ذات اهمية لان المامورية التي بعثتني بها سهلة جدًّا يمكن ان يقضيها غيري من صغار المستخدمين

القاضي — أصبت وانا اعلم انك ماهر جدًّا وخبير في اساليب الاكتشاف ولكن قل لي ما النتيجة

الرجل — النتيجة يا سيدي ان المواصلات مفتوحة بين الدور الثاني من بيت سكة فوليانتين والبيت الواقع في الدور نفسهِ من سكة برتوليه

وهذه الصلة التي كانت مفتوحة ولم تسد الا من زمن قريب انما هي في مدخنة قاعة من قاعات بيت فوليانتين وتودي الى البيت الاخر ولم يكن هذا الامر صعبًا وها انا اسرده على جنابك

اني ذهبت اولاً لسكة برتوليه فدخلت البيت المعهود ولم افضلهُ على الاخر الا لكونهِ خاليًا من السكان منذ زمن طويل ولا بد ان تحفظ آثار الخطوات الرطبة

ولما صرت داخل البيت رأيت الاقدام في الارض وقد تلبد عليها الغبار فاصبحت جلية واضحة ولم يجد كنس البيت لان الرطوبة حفظت الاثار صفرا على ارض القاعات وقد لحظت اثار القدمي امرأة وشاب ولما وصلت الى الباب الصغير المصنوع على هيئة لوح الكتابة فتحتهُ ورايت على الحائط سدًّا جديدًا لهذا المحل المفتوح ورايت ما يبرهن لي على ذلك من نقط الكلس

الساقطة على الارض وعلى المربع المصنوع من الورق الازرق ونظرت الورق الازرق وقد اخل عن مقامهِ نظراً للرطوبة ولما رفعت هذا الورق بخفة رايت اختلافاً عظيماً بين لون السد ولون الحائط الاصلي

وكان الموسيو بريسون يقول — لقد احسنت واصبت يا ايها الخادم الامين

قال الرجل — ولما تممت اختباري في هذا البيت ذهبت للبيت الاخر وكنت قد قست عقلياً وقابلت بين هذين البيتين فاقتربت من مدخنة البيت الاخر فرفعت ستارها فرايت لوحاً من حديد مفتوحاً يكفي لادخال رجل كبير القامة ورايت اثار اقدام مصفرة مغبرة تشبه الاثار التي نظرتها في البيت الاخر وكان من الواجب عليَّ ان اقلع اللوح الحديد لانظر ما وراءهُ ففلعتهُ بسكين كانت معي

القاضي — وهل صنعت ذلك بحضور البواب

قال بريسون (الرجل) . وهل يستهزئ بي حضرة القاضي

القاضي — وكيف وجدت واسطة لابعاده

بريسون ان عندي كثيراً من هذه الحيل

القاضي تم حديثك

الرجل — وهناك رأيت رطوبة في الكلس واختلافاً في لونهِ ولون الحائط الاصلي وذلك يثبت ان السد جديد وان النار لم توقد في المدخنة منذ صنع السد ولما اتممت مامورية حضرت بين يديك لاخبرك بها

القاضي — انك يا عزيزي بريشو حقيق بالمكافاة فهل انت شرطي فقط

بريشو — نعم يا سيدي القاضي

القاضي — ستكون قبل شهر رئيس فرقة فاذهب واني لك من الشاكرين

بريشو — اني شاكر لك يا حضرة القاضي ثم خرج بريشو مهرولاً فرحاً

قال القاضي لروبرت بك — لقد اصبت بفكرك وانا المخطيء بزعمي . ولكن ماذا كان لباسرو وروسينيول في هذا المقتل وكيف وجد احد الرفوافرين

وكيس نقود المقتول معهما

روبرت بك — يصعب علينا في الوقت الحاضر ان نشرح عن هذا الامر ومع كل ذلك فاني اوكد ان الرجلين بريئان من التهمة لان القاتلين ادهى وامكر من ان يشتركا بالمقتل مع هذين الرجلين

القاضي — سابقيهما وراء اسوار السجن الى ان تتضح لي براءتهما

روبرت بك — وانا ايضًا ساعطيهما ما يجعلهما في أمن من النفر عند خروجهما

القاضي — حسنًا تفعل — وكم تريد ان امهلك لتاتيني بدومينيك

روبرت بك — اقل من ثلاثة ايام

القاضي — انك تسرع اكثر من العدلية ولكن لك عندي وصية

روبرت بك — ما هي

القاضي — احترس على نفسك وانا ساراقب اعداءك

ثم نظر القاضي الى بريسون وقال له هل انت راضٍ الان

بريسون — نعم نعم فاني لست فقط راضيًا بل قد صيرتني هذه الحوادث سعيدًا جدًّا

ثم ودعا القاضي وانصرفا

القسم الثاني

الفصل الخامس

ولما خرجا من عند القاضي وركبا العربة قال بريسون لروبرت بك ان ما اوصاك به القاضي لفرض عليك واجب الا وهو الاحتراس على نفسك لان الذين قتلوا رفيقك غلطًا لا يتاخرون عن قتلك ان امكنهم وانا لا اخاف عليك بل على كونستانس وشارلوت لان انفرادهما اقلق بالي وخصوصًا اذا كان العدوّ من مثل سسبل شامبلي وابنها وصاحبها ماكس ربويل

روبرت بك — ما رايك

بريسون — رايي ان تعيد اليك ابنك بول وتجعلهُ حارسًا على امهِ واختهِ يدفع عنهما غدرات الخائنين الماكرين

روبرت بك — الا تظن ان بول يستحق ابنتك لويز

بريسون — دعنا الان من هذا الحديث واذا كان من رايك ذلك فاظهر نفسك لامرانك ولابنتك فما الذي يمنعك عن ان تظهر للاولى انك عدت من السفر وللاخيرة انك حي بعد

قال روبرت بك — لم تحن بعد الساعة

بريسون لماذا

روبرت بك — لاني ارغب ان اجلي لدى الناس خيانة الامراة التي تلقب نفسها باسمي وخيانة ابنها واريد ان اظهر صفات كونستانس وبول وشارلوت وحسن سجاياهم وطيب نواياهم وشهامتهم لانهم هم عائلتي وليس لي سواهم واما الحارس الذي تطلبهُ لحماية كونستانس وشارلرت فعندها حارس مثل بول واحسن منهُ

بريسون من هو

روبرت بك — هو جاك ديديه المصوّر

بريسون — ان فكرك صائب فان هذا الشاب اديب ولكنهُ ذو شجاعة واقدام غريب فانا في اطمئنان عن شارلوت واما كونستانس فانها قد برهنت عن اخلاصها بما لم يبق معهُ سبيل الى الشك والريب . اتخاف ان تبوح بسرك وهي التي من يوم بعثت اليها الكتاب كتمتهُ عن كل اهل الارض وقد رات ابنها مسافرًا فلم تقل لهُ دع عنك السفر لان ابيك حيٌّ بعد ولم تزل اغنياء وقد نظرت دموع شارلوت التي لم تنشف منذ نظرت جثتك الموهومة وقد فضلت سماع بكاء ابنتها وعويلها على مخالفة امرك واباحة سرك وهذا مما يفوق حد الطبيعة البشرية فهل لانستحق المكافاة وحسن الجزاء فتهيجت حاسيات روبرت بك وقال — اه يا اولادي المحبوبين ويا قرينتي العزيزة كم انا احبكم وكم انا معتز بكم . . .

فبعد ايام قليلة نجتمع ولا يتعكر صافي سعادتنا

بريسون — بالله عليك يا روبرت اقبل رجائي — وقل لي هل تقبل

روبرت بك — حسناً ولكن اين انظر عزيزتي كونستانس

المسجل — في منزلي

قال الراوي — وكان هذا الحديث في العربة فقال بريسون لقائدها اذهب بنا الى سكة كاترفيس قال روبرت بك — وماذا تفعل هنالك

بريسون — اخفني انت في العربة وانا اتم الامر

وبعد بضع دقائق وصلت العربة الى سكة كاترفيس فصعد الموسيو بريسون الدرج واعطى البواب تذكرة زيارة وقال له

اصعد لبيت مدام روبرت وسلمها هذه التذكرة وقل لها اني منتظرها في مكتبي فلتحضر حالاً

ثم دخل العربة وقال للقائد الى مكتبي حالاً

وبعد قليل وصلت العربة الى مكتب الموسيو بريسون المسجل في سكة شوازيل ثم دخل في سلم سري كان يصعد فيه لاتقاء مقابلة العملاء الذين لا يريد مقابلتهم ثم فتح باب قاعة كاتبه الاول وقال له لا تدخل عليَّ الا مادام روبرت بك

قال الكاتب سمعاً وطاعة ياسيدي ثم قفل بريسون الباب وقال لصاحبه قبل نصف ساعة تكون امرأتك عندنا

قال روبرت بك — ان قلبي لخافق خفقاناً شديداً

بريسون لا ريب ان قلب كونستانس اكثر خفقاناً من قلبك

قال الراوي — وما اخذت كونستانس تذكرة زيارة بريسون وسمعت الكلام الذي قاله للبواب حتى قالت في نفسها ان روبرت هنا في باريس ولكن فرحها تناقص لما علمت ان روبرت بك لم يحضر عندها لكونه لا يريد ان يعرف ابنته شارلوت بوجوده بل رغب الا يعلم بذلك احداً سواها

(اي كونستانس)

ثم تنهدت كونستانس حينما رات شارلوت تنظر اليها بعين القلق وقالت لها — يا ابنتي العزيزة ان الموسيو بريسون يدعوني وانا ذاهبة الى بيتهِ في هذه الساعة

ثم عانقت شارلوت وركبت عربة وسارت بعد ان قالت لقائد العربة ثمرة . . . سكة شوازيل وحال وصولها صعدت عند الموسيو بريسون وكانت ركبتاها ترتجفان من الجزع فقالت في نفسها ان السرور لا يقتل وقبل ان تلفظ كلمة واحدة دخل كاتب الموسيو بريسون وقال لهُ مدام روبرت بالباب

ثم دخلت كونستانس وكان روبرت بك واقفًا فالتحًا ذراعيهِ فرمت بنفسها عليهِ وعانقتهُ وصرخت بصوت السرور ثم سالت الدموع من اعينها وافترَّ مبسمها عن درر وقالت لهُ الف الحمد لله على سلامتك

— وهل امامنا فراق اخر

روبرت بك كلا — فاننا سنجتمع بعد ايام قليلة

كونستانس — ولما لا تجتمع حالاً هل يتهددك خطر آخر

روبرت بك — كلا فكوني في طمانينة وراحة فكر ولكنني لا بد لي من الانتقام للجنرال بن سعيد ولا يمكن لاحد سواي ان ياتي بالبرهان الكافي لقصاص المذنبين

قالت كونستانس بحزن — انفترق مرة اخرى

روبرت بك — لا نفترق بل انظرك كل يوم

هنا — فهل تريد ذلك يا بريسون

بريسون — وكيف لا اريده وهل تسالني عنهُ والبيت بيتك

قالت كونستانس — آه ياشارل لو تعلم مقدار المحبة والغيرة التي اظهرها لنا بريسون الصادق الامين فاني وجدت بهِ اخًا حقيقيًا فقد دافع عنا وساعدنا ولكان يعزينا لو كان السلو ممكنًا لنا

قال المسجل — وهل كان شارل يعامل لويز بغير هذه المعاملة لو توفاني الله

قال روبرت بك — انك مصيب ياحبيبي لاننا نعرف بعضنا بعضاً ولكنها شكرت منك عنايتك بها وانا اشكرك بالنيابة عنها وعن اولادنا

المسجل — دعنا من هذا الشكر — ولكن كونستانس قد سهت عن ان تحدثك ببول وشارلوت فانهما ما برهنا على كونهما اهلاً لان تكون لهما ابًا ولذلك سأكافي بول بزواجه من لويز ابنتي وما جزاء شارلوت منك

قال روبرت . انني بعد ثلثة ايام اعقد يدها بيد جاك دبديه — ثم عانق روبرت امرأته وخرج من باب وخرجت كونستانس من باب اخر

وقد اوشكت كونستانس ان تبح السر رغماً عنها لابنتها لان الفرح والغم يعسر كتمهما

القسم الثاني

الفصل السادس

ولما طرد روبرت بك فريدبريك من بيت سسيل ذهب الاول الى حيث ماكس ربويل

وكان برتجف طالبًا الانتقام ولكنه تحير كيف ان امه اعترفت بسلطة هذا الشخص عليها ولم يعلم غايتها من هذا الامر وكان يقول في نفسه أما قتل روبرت بك وثبت ذلك في دفاتر المدنية . . . واذا كان روبرت حيًا فمن هو الذي مات محله وزاد الاستغراب في مخيلة فريدبريك حتى اوشك ان يستولي عليه الجنون ووصل الى ماكس في حالة مفزعة وكان هذا ساكنًا في بيت عند سكة (لابيان فيزانس)

فقال له ماكس — اهلاً وسهلاً بالصديق الناضل اظنك قد احضرت لي حصتي من التركة

فاجابهُ فريدبريك بغضب بعد ان ضرب رخام المدخنة بيده وكسرهُ انطالبني بحصتك وقد نظرنا ان ثمرة اعمالك كانت عقيمة فقد رحلنا برايك الى فرنسا مدة ستة اشهر وقتلنا رجلين وما افلحت مقاصدنا

قال ماكس متحيرًا — لا افهم ما تقول

فريدبريك — ولا انا ايضًا — فقل لي من هو الذي عرضتهُ لنيران سلاحنا في غابة بتيت لوج

ماكس — روبرت بك

فريدبريك — كلا . . . . فان روبرت بك حي

فرجع ماكس الى الوراء منذهلاً وقال لهُ ماذا تقول يا فريدبريك

فريدبريك — قلت لك ان روبرت بك لم يزل حيًا

ماكس لا يمكن ابدًا

فريدبريك — منذ برهة كنت اقول مثلك ان ذلك غير ممكن ولكنني اضطررت الى الاقرار بالحقيقة . وقد اعترفت سسيل بين يدي امام مسجلين شرعيين والخلاصة ان روبرت بك استرجع مالهُ واملاكهُ وطردني فها انا امامك لا مال عندي بل عليَّ

قال ماكس — يكفي يكفي قل لي هل انت سكران ام تهزأ

فريدبريك — ليتني كنت سكرانًا . . . ولم افقد عقلي للآن ولكن من سوء الحظ هي الحقيقة بعينها وبينها فمنذ ساعة اتى المسجلان . مع احدهما عقد التنازل والمبيع والاخر معهُ الملايين وقد اخرج المسجل المشتري ورقة في الحكومة بثلثة ملايين كانت في احدى الحلات التي لم نقدر على اكتشافها وبينما كانت سسيل تحاول استلام الورقة اعترضها رجل لم انظره اولاً وكان روبرت بك فاثبت كونهُ هو روبرت بك واستولى على املاكهِ ثم طردني باحتقار فاصبحت كما تراني . . . وقد فقدنا كل شيء . . . وسنفقد ارواحنا اذا اكتشفت الحكومة اقل برهان يتعلق بذنبنا

قال ماكس قد تخلصت انت ولمك من هذه الورطة التي دبرتها انا وساقع في شرها لاني كنت خادمًا لروبرت بك ولكنني متاكد ان روبرت بك لا يقدر على معرفتي الان في ثيابي واسمي الجديد . . . . ولكن قل لي بالتدقيق . . . . هل اقرت سسيل بروبرت بك

فريدبريك — نعم

ماكس — وبعد ذلك

فريدبريك — وبعد ذلك قالت بما انها امرأة روبوت بك فهي في بيتها ولا تتركه

ماكس — لقد اصابت سسيل — ثم صرخ قائلاً

اذا كان روبرت بك حيًا فمن هو الذي قتلناه في غابة بتيت لوج

قال فريدبريك — اذا تكرمت عليَّ بالايضاح عن الذي قتلناه اكون لك من الشاكرين

ماكس — لقد صدقت سسيل فان الرجل الذي خرج من الحديقة هو زوجها روبرت وهو الذي نهب المليون و . . . . . ٢ من الفرنكات التي كنا عازمين على اقتسامها

فريدبريك — اذا صدق قولك كان روبرت بك اشد دهاء منك

قال ماكس — لم تفقد كل الامال بعد بشرط الاسراع بالعمل

فريدبريك — اي عمل

ماكس — نخطف شارلوت ونجعلها رهينة عندنا نأمن بها شر روبرت بك

قال فريدبريك — حسنًا قلت فانك بعد ان فقدت الدراهم تريد ان تستولي على شارلوت

فهز ماكس اكتافه لان فريدبريك لم يفهم ما يريده بكلامه هذا وقال له —

اسمع وعِ ما اقوله لك — ان غايتي الان الانتقام وانقاذ انفسنا وبعد

ذلك انظر في امر شهوتي وعشقي ولن ازال على فكري وهو ان اختطافنا اشارلوت غنيمة كبيرة لنا لان روبرت بك يبذل كل ما تطلبهُ لنسلمها لهُ

فريديريك — نخطف شارلوت . . . هذا امر يسهل كلامهُ ويصعب فعلهُ فقل لي عن وسائطك

ماكس — ساخبرك عنها — واعلم اولاً انني منذ ايام اصرف ساعات في سكة كاترفيس اراقب شارلوت وامها واما بول فانهُ قد رحل وذلك يسهل علينا اختطاف اختهِ وقد علمت ان روبرت بك لم يظهر نفسهُ لعائلتهِ بل لم يزل مختفيًا عن اولاده واظنها مكيدة لاذيتنا ولكن كونستانس تخرج في كل يوم وقد تبعتها فرايتها داخلة الى بيت بريسون واظنها تقابل زوجها في ذلك البيت فعلينا ان نخطف شارلوت اثناء غياب امها

فريديريك — كيف ذلك

ماكس — قل لي هل تغذيت .

فريديريك — كلا

ماكس — هيا بنا نتغذى سويـة وساحدثك بمقاصدي واخبرك على الوسائل التي تمكنني من خطف شارلوت ومتى تم لنا بذلك طالبنا من ابيها ما يزيد

قال فريديك — هيا بنا الغداء

ثم وقف وقال الاميركاني — والى اين ناخذها بعد خطفها

ماكس — غدًا . . . واليوم نستعملهُ لمراقبة من يدخل ويخرج في بيت كاترفيس

فريديريك — اظن انهُ من الموافق اخبار سسيل بقصدنا

ماكس — احسنت فستكون سسيل المتوسطة بيننا وبين روبرت بك فاذهب عندها

فريديريك — وربما اجد روبرت بك

ماكس — ففي هذه الحال نرسل الكتاب مع سمسار

فريدبريك — أن ذلك اكثر موافقة

ماكس — ادخل القاعة القريبة تجد فيها قلمًا ودواة وقرطاسًا فلازم في كتابتك الاختصار بينما البس انا ثيابي فاكتب مثلاً هذه الكلمات

(قد قبضنا على شارلوت ولن)

(نعيدها الى ابيها الا اذا دفع)

(لنا نصف مالهِ)

فصفق فريدبريك طربًا — وقال حسنًا حسنًا ثم بعد ذلك ب ٥ دقائق كان الشقيان جالسين في قاعة اكل خصوصية من فندق يتحدثان في عملهما الاثيم الخبيث

القسم الثاني

الفصل السابع

وكانت السهول المحيطة بباريس غاصة بالمقالع التي تخرج منها حجارة البناء وكانت المقالع كثيرة في الضفة اليسرى من النهر حتى احتفر الناس الارض فاصبحت كالوادي وبنوا فيها بلدة صغيرة تدعى (كاتاكومب) نظرًا لانخفاضها وقد يزورها كل الباريسيين وعلم عمومهم ان بلدة (كاتاكومب) ممتدة لحد كلوني

وقد اعتنى الاهالي ببعض جهات اخرى من البلد لامقالع كثيرة فيها فزرعوها بالبقول والغلة فامتدت زراعة البقول في كل جهة من باريس لاتحضرها انوار الشمس ولا تضربها اشعتها

ففي ذلك الصباح في نحو الساعة ٩ نهارًا دخلت باب شوازي لي رول عربة يجرها فرسان من الخيل الكريمة ونهبت الارض نهبًا حتى وصلت الى سكة فرسالي ثم عطفت السير على الشمال ثم عبرت امام كرنيون ووقفت بعيدًا

عن اورلي

واورلي قرية مبنية على مطلع عال وبيوتها ممتدة الى فيليانوف لي رو بغير انتظام

ففتحت ابواب العربة وخرج منها رجل فقال لقائدها

قف في انتظاري قليلاً لان هذه الطريق لاتصلح لسير المركبات — ثم ترك العربة وسار قاصدًا بيتًا صغيرًا

وكان امام البيت امرأة مهمة بجمع البقول وكان الكلب نائمًا فصحا وعوى على الرجل فقالت الامراة له اسكت يا باتو بدون ان تلتفت الى الذي عوى عليه الكلب

ولما سكت الكلب اقترب الى الرجل وهش به وحرك ذنبه

فالتفتت اليه الفلاحة وهي ابنة تدعى سوسن ولكن الشمس كانت تضرب في اعينها فصرخ بها الرجل ان الكلب ذو ذاكرة احسن من ذاكرتك افلا تذكرين من انا

فاضطربت سوسن وهربت الى محل قريب واصبحت تقول وهي مرتعدة انا انا الماثت وما كان هذا الماثت سوى روبرت بك صاحبنا

فقال لها روبرت بك — ان كلبك لاشجع منك لانه لايصدق بقيامة الاموات (في هذه الايام) فاقتربي مني لاريك انا روبرت وهات يدك وضعيها بيدي

فاقتربت منهُ ووضعت يدها بيده وقالت لهُ حقًا انك حي بعد — ولكن من هو الذي قتلوه في غابة بتيت لوج وحضر في دفنهِ كل اهل القرية

روبرت بك — هو احد اصحابي الذي قاده اجلهُ الى عربتي فاخبريني ابن دومينيك

قالت سوسن — دومينيك . . . .

روبرت بك نعم هو دومينيك قائد عربتي الذي لم يقدر على الزواج

منك خوفًا من السجن بسبب هربهِ أتنظرين كيف اني عالم بكل اسرارك وهل تعلمين ان دومينيك ذاتهُ هو الذي اقرلي بحبهِ لك فاحمرّت سوسن خجلاً ووجلاً

وقال لها روبرت بك — دومينيك حي بعد لانهُ لو كان ميتًا لكنت تبكين عليهِ بدل الدموع دمًا وانا اعلم ان دومينيك قد اخفى عندك فالى من من يلجأ اليس لمن يحبها ويعشقها

فيلزم ان انظره واكلمهُ لان مستقبلي ومستقبل اولادي وامراتي موقوفان على هذه المقابلة فهل تمنعيني من مقابلتهِ

فبكت سوسن وقالت — انك ياسيدي تلزمني بان اخنث في قسمي وهو عدم اباحة مكان دومينيك

قال روبرت بك — وهل هو حي

روبرت بك — اعلمي انني احضرت لهُ العفو عن الذنب الذي كان يخشى عواقبهُ ولم يبق مانع لكما عن الزواج

سوسن — اصحيح ما تقولهُ ياسيدي

روبرت بك — اقسم لك بالشرف انهُ صحيح

سوسن — تعال اذن واسرع لئلا تنظرني امي

ثم قالت للكلب اجلس مكانك امام الباب يا باتو واحترس جيدًا

فسمع الكلب كلام سيدتهِ وجلس امام الباب وهو يهز ذنبهُ علامة للسرور

القسم الثاني

الفصل الثامن

ثم دخلت سوسن وروبرت بك في مغارة محفورة في الصخر الى ان وصلت الى شبه فراش مرفوع على محل عال فصرخت منادية — دومينيك

فسمع صوت قائل أأنت ياسوسن

سوسن — نعم انا فانزل من السلم

د ينيك — ارى معك غريباً

سوسن — انزل لاتخف

فما نزل دومينيك حتى صرخ قائلاً آه ياسيدي روبرت بك . . . كيف . . .

فجذب روبرت بك دومينيك اليهِ وقال لهُ ساخبرك عن ذلك قريباً فاعلم الان ان الذي قتل هو الجنرال ابن سعيد وقد جعلت ثيابهُ وهيئتهُ مثلي حتى لم يشك فيهِ احد

وكان دومينيك اصفر الوجه هزيلاً ضعيفاً وذقنهُ طويلة وكذا شعره كانهُ احد المتوحشين . فقال لهُ روبرت بك اني لمن السعداء اذ رايتك حياً

دومينيك — اذا كنت حياً فما ذلك الا من فضل وعناية سوسن ولكنني حمداً لله قد انقذت من الخطر وسانتقم من عدوي !

روبرت بك — من هو عدوك

دومينيك — هو الخادم جوستين الخائن الذي اطلق عليَّ الرصاص حال وقوعي ورماني في الحفرة بين ميت وحي

روبرت — هل انت على ثقة مما تقول

دومينيك — وكيف لا اثق وقد رايت اللصين قد اتيا لقتل ابن سعيد ظناً منهما انك انت الجالس داخل العربة وقد اتيا من ورائنا ولو اطلقا عليَّ الرصاص لما اصابني الا من ظهري مع كون الرصاص اتاني من صدري

روبرت بك — قل لي ما تعلمهُ من امر هذا المقتل

دومينيك — ان كل ما اعلمهُ هو كوني اصبت باطلق ناري فوقعت في الحفرة اخبط بدمي ولكنني لم افقد الحس حالاً بل رايت احد اللصوص بهيئة امراة مع كونها لابسة ملابس الرجال وكانت تقول للذي معها (افتح بورفاذر) اي خذ بثارايك

قال روبرت بك — كمل حديثك

دومينيك — ثم اغمي عليّ ولم اعلم ماذا جرى بعد ذلك ولما صحوت من غشيتي ما رايت الا العربة والخيول فتركت الغابة زاحفاً الى القرب من بيت سوسن فوجدتها واخذتني وصارت تعالجني بالدواء والقوت بدون ان يعلم بذلك احد . . . . فآهٍ ياسيدي لو تعلم مقدار شكري لها وكيف أقدر على مكافاتها في الحالة الحاضرة

روبرت بك — ساساعدك على ذلك ولكن لماذا لم تات الى القصر

دومينيك — هو السبب عينهُ فاني خشيت ان يقبض عليّ الشرطة بسبب هربي من العسكرية وخشيت ان افقد سوسن

روبرت بك — وهل هذا هو السبب الوحيد الذي منعك من الذهاب الى قصر بتيت لوج

دومينيك — وهل تظن بوجود سبب اخر . . . وهل يقودني سوء حظي الى ان ترتاب بصداقتي واماني . . . فاذا كان ذلك فالموت خير لي

قالت سوسن — لااريد ان تموت

قال روبرت بك — لوكان الريب اليفاعالك لكنا سلمناك الى العدالة ولكنني ياعزيزي دومينيك قد احضرت لك العفو عن ذنبك السالف وهربك من الجندية

دومينيك — العفو عني . . . ايمكنني ان اتزوج من سوسن . . . آه يالسعادتي .

قال روبرت بك — كل ذلك ممكن على شرط ان تتبعني حالاً بالعربة الى باريس عند قاضي التحقيق وتقول امامهُ ما قلتهُ امامي

فاجابهُ دومينيك قائلاً هيا بنا ياسيدي فانا مستعد لان اتبعك

قالت سوسن — أتعيده اليّ كما اخذته مني

روبرت بك — ساعيده اليك ومعهُ الصداق ايضاً

سوسن — فعلى ذلك اسرعا بالذهاب لعدم التعويق

روبرت بك — انك لنعم الابنة وهذه يدي لك علامة لامتناني

وبعد ان سلمت على روبرت بك عانقت دومينيك فسار مع سيده الى العربة حيث دخلا وفي الساعة الثانية بعد الظهر كانا امام سراي الحقانية ثم دخل روبرت بك عند القاضي فسالهُ هذا هل نجحت مقاصدك

روبرت بك — نعم ها هو دومينيك ولكن اسمح لي ياسيدي ان اذكرك بوعدك قبل كل شيء وهو ....

القاضي — العفو عنهُ

روبرت بك — نعم

القاضي — انني اعدك بذلك مرة ثانية بشرفي

روبرت بك — أيخرج من هنا حرًا

القاضي — نعم

روبرت بك — شكرًا لك ياسيدي والان ارجوك ان ناخذ قراره الذي يثبت لك ما اخبرتك عنهُ . واما انت يادومينيك فستجدني عند الموسيو بريسون

دومينيك — حسنًا

ولما ذهب روبرت بك دعا القاضي كاتبهُ الاول واخذ قرار دومينيك من الساعة ٣ الى الساعة ٤ ثم صرفهُ وقال لهُ اياك التاخير حينما نطلبك

دومينيك — انا لا اتاخر ابدًا ياسيدي

القاضي — حسنًا — اذهب

ولما خرج دومينيك كتب القاضي ٣ طلبات بالحضور وقال لكاتبهِ الاول اذهب حالاً الى دار الشرطة وقل لهم ان ينفذوا هذه الطلبات حالاً لان من الضرورة ان يبات المطلوبون في السجن في هذه الليلة بدون ان يعلم احد

قال الكاتب الاول انني ذاهب بنفسي

فقال القاضي في نفسهِ ان هذه القضية تشرفني امام الحكومة

القسم الثاني

الفصل التاسع

ولما خرج روبرت بك من مكتب الموسيو اوبري قاضي التحقيق حار في امره لان ظنونهُ صحت وتحقق في فكره ان الذين قتلوا الرجل هم سسيل وفريدبريك وماكس ربويل اوجوستين وقد حاولوا قتلهُ لكي يستولوا على مالهِ وعقارهِ لان الشريعة اعترفت لفريدبريك بان روبرت بك ابوهُ ولذلك هو وريثهُ الشرعي ولا ريب ان اقرار دومينيك سينتج عنهُ القبض على هولاء الثلاثة الاشقياء والحكم عليهم ولا يكون الحكم عليهم الا بالقتل لانهم قتلوا رجلاً في غابة في الليل الحالك ولا ريب ان الناس يعتبرون فريدبريك ابنهُ الشرعي فكم يكون خجلهُ حين يشتق هذا الولد بدعوى محاولتهِ قتل ابيهِ

ولله حالة روبرت بك ما كان اصعبها واعقدها واشكلها فانهُ كان يتصور نفسهُ كانهُ في جلسة المحاكمة ومحامي ابنهِ يقول هذا الكلام

ايها السادة القضاة — ان هذه الدعوى قد استفرغت اليها افكار العموم لانها عديمة المثال ولان امامكم رجلين احدهما أبٌ يطالبكم براس ابنهِ والثاني ابن معترف بارتكابهِ ذنب قتل شخص ظنهُ اباه واظن ان البعض يقول لي ان فريدبريك روبرت ليس ابنًا لروبرت بك فاجيب هذا البعض ان الشريعة تحكم بذلك ولو كان روبرت بك انكر ابنهُ لما نفى ذلك ابوتهُ لفريدبريك ولو ثبت ان الامرأة زنت لما ثبت من ذلك ان فريدبريك ليس ابن روبرت بك لان الطبيعة ضربت عليهِ ستارًا وحجابًا كثيفًا وهذا الشك وحدهُ كافٍ لان يجعل روبرت بك فريسة لتبكيت الضمير الدائم

فلما احاطت بروبرت بك هذه الافكار لم يجد مهربًا منها الا بان يقدم لسسيل وابنها واسطة لانقاذ ارواحهما وهي الهرب

فذهب الى سكة مالزرب وطلب مقابلة سسيل فاخبرها الخادم ان رجلاً

في الباب فقالت لهُ ادخلهُ القاعة وقل لهُ انني حاضرة اليهِ في الساعة

ثم دخلت عليهِ فنهض وقال لها ـ

ياسيدة ـ انك اكتسبت من لقب زواجك للبقاء في هذا البيت فلم ارغب ان افسد دعواك ولكنني في الوقت نفسهِ اكتسب من كوني زوجًا حرًّا في التصرف ولذلك قد بعت منذ اليوم جميع الاثاث الموجود هنا وفسخت اجار البيت ايضًا

قالت سسيل ـ لقد أحسنت في تدبير الحيلة ولكنها من تدابير صاحبك بريسون وانا وحدي متحكمة في امر البيت واثاثهِ الى ان تبرهن على يد الحكومة انك روبرت بك وانا اخبرك باني قد اتخذت الاحتراسات اللازمة لانقاذ نفسي من توحشك

فاندهش روبرت من وقاحة هذه الامرأة وقال لها

ان ما تسميه توحشًا ليس الا تمدنًا وشفقة فاني لا ارغب ان تكون من تسمت بامراتي ومن تلقب بولدي هدفًا للشنق والقتل

سسيل ـ انك ياحضرة الموسيو لا تغير طباعك بل قد جعلت التهديد مذهبك

فصرخ روبرت ـ آه ياشقية اتظنين انني جاهل ذنوبك واثمك الفظيع حاشا وكلا فاني عالم بكل ذلك وفي عزمي تقديم البرهان عليهِ لانك انت وابنك وعاشقك ماكس ريويل (الذي دخل في خدمتي تحت اسم جوستين) قد قتلتم رجلين انهم بقتلها سائلان . . . وكان في ظنك ان تتخلصي من هذا الذنب بكيدة صنعتها لتبرهني على وجودك في البيت ساعة المقتل . . . . فلعمري انك لفي ضلال مبين لاننا قد اكتشفنا على البيت الواقع على سكة برتوليه وخرجنا من بابهِ . . . . وقد قتل عاشقك دومينيك وانت وابنك قتلتما صديقي المنكود الحظ الذي اتفق وجوده في عربتي في تلك الساعة . . . . وانت دون غيرك كنت تشجعين ابنك قائلة لهُ (افتح بورفاذر) اي خذ

بثار ابيك

وكان روبرت بك يقول لسسيل هذا الكلام ووجهها يصفر وما لبث الخوف والرعبة يتبادلان العمل في قلبها الى ان بددتهما عوامل البغض والخسة ثم قالت لهُ —

نعم ان كل ما قلتهُ صدق وجوسين هو ماكس ربويل بعينهِ . . . . نعم هو الذي حضر المقتل وسهلهُ . . . بل هو الذي قتل قائد عربتك برصاصة من رفولفره . . . . نعم انا وابني اللذان قتلنا صاحبك غلطًا بدلاً منك وهذه الغلطة تدعوني الى الاسف الدائم . . . . نعم ان فريدبريك هو ابن عاشقي الذي وجدتهُ معي في بيتك منذ ٢٥ سنة . . . . نعم انا الذي قلت لابني انتقم لابيك اخذًا بثار الذي قتلتهُ انت وتمتعًا بمالك وغناك طلبًا لنوال السعادة والرفاهية وانا اقر بكل شيء فماذا تريد

ثم وقفت امام روبرت بك بهيئة المتهدد فاندهش منها ومن فحتها ووقاحتها — وقالت لهُ لست اخشاك ولن اخشى الحكومة لان عندي رهنًا عزيزًا عليك يجعلني واصحابي في مامن من شرك ولا اخاف الا من الفقر وهذا الخوف هو الذي دعاني الى محاولة قتلك

فخفق قلب روبرت بك وقال لها — ما هو هذا الرهن (وكان قد افتكر بكونستانس وشارلوت)

قالت سسيل بصوت خبيث — اراك عدلت عن التهديد فقد انقلبت الاحوال وسوف تقف امامي حقيرًا ذليلاً وترتجف في حضرتي

روبرت بك — انا روبرت بك ارتجف في حضرتك فمن تكونين . . . . هل اعتراك جنون

سسيل — اتظن اني مجنونة — حسنًا — قل لي اين ابنتك شارلوت الان

فاصفر وجه روبرت بك وصرخ قائلاً — ابنتي

سسيل — نعم ابنتك شارلوت المحبوبة . . . . قد وقعت في قبضتي

وهي رهينة عندي

روبرت بك — تكذبين ياردينة

فاطلعت سسيل على الورقة التي ارسلها اليها ماكس معلنًا عن خطف شارلوت

فصرخ بها روبرت بك آه ياشقية . . . ان روحك فدًى لشارلوت ياخائنة — ثم هجم على سسيل ولكنها لجأت الى الحائط ووضعت يدها على حبل الجرس وقالت له اذا تفوهت بكلمة او صنعت اقل عمل ادق الجرس فيذهب الخادم لقتل شارلوت وانتقم منك وان مت اكن مرتاحة البال لكوني نغصت عيشتك

فصمت روبرت بك وخفض راسهُ وكان يفتكر فيما ستئول اليهِ حالة شارلوت وقال في نفسهِ ان الذين حاولوا قتلي لا يتاخرون عن اعدام شارلوت

فقال لسسيل — كم تطلبين ثمنًا لابنتي — سسيل . . . . . ١٢٠٠٠٠ فرنك

فقال روبرت بك — لك ما تريدين — ثم اخرج من جيبهِ ورقة وكتب لها تحويلاً بالمبلغ على احد البنوكة وبعد ان سلمها التحويل قال لها ابن ابنتي سسيل — في سكة برتوليه وفي البيت الذي كان يقطنهُ ماكس ربويل

فهرول روبرت بك غير مفتكر ان كانت قد اخبرتهُ بالنبإِ الصحيح ثم امر قائد عربتهِ بان يطير بهِ الى سكة كاترفيس فراحت الخيل تعدو كالبرق اليماني فلم يمض الا ربع ساعة حتى وصل الى بيت كونستانس فقفز من العربة وصعد الى البيت

الفصل الثالث عشر

ولنسرد على القارىء ما جرى في بيت كونستانس قبل وصول روبرت بك فنقول

في الساعة ٤ بعد الظهر ذهبت كونستانس بعربة الى بيت الموسيو بريسون فوجدت دومينيك وكان قد حضر من عند قاضي التحقيق فدخلت معهُ

منزل بريسون بعد ان سلمت عليهِ ثم لما اتى الموسيو بريسون طلب من دومينيك ان يقص عليهِ الحادثة فرواها لهم دومينيك كما رواها لروبرت بك وقاضي التحقيق من بعده ثم اخبرهم كيف اتاه روبرت بك بعد ان وصل الى اكتشاف محلهِ فاستغرقت المحادثة وقتاً طويلاً جداً

وفي الساعة ٤ ونصف بعد الظهر ظهرت عربة اجرة يجرها حصان كبير جموح وقائدها رجل هيئة وجههِ متغيرة عن وضعها الاصلي ووقفت في سكة كاترفيس امام بيت كونستانس ثم نزل منها شاب شعره اشقر

وكانت كونستانس قد اوصت البواب ان لا يدخل على ابنتها احد مطلقاً ولكن الشاب قال لهُ انهُ آت من طرف الموسيو بريسون وقد ارسلته كونستانس بمأمورية لشارلوت

ثم لما راى الشاب توقف البواب عن اتمام ما دعاه اليهِ قال لهُ انني من كتبة الموسيو بريسون واعلم ان مدام روبرت نبهت عليك بان لا تدع احداً يدخل عند مدموازيل شارلوت فاذا لم ترغب في الاخلال بهذه الوصية فخذ هذه التذكرة لمدموازيل شارلوت وقل لها ان سيدي امرني بان اخذها عنده حيث تلاقي ما تتمناه من الاماني

فصعد الرجل البواب ودق الباب فخرجت اليهِ الخادمة فقال لها علي بمدموازيل . . . علي بمدموازيل ؟

فاتت شارلوت وقالت لهُ ما بالك ياموسيو (جواران)

فقال لها آه ياسيدتي لو تعلمين . . . فالخبر غريب جداً

شارلوت — ماذا جرى . . .

البواب — رجل من كتاب الموسيو بريسون . . . ها هي تذكرة زيارته . . . ينتظرك في العربة . . . وقد اتى بطلبك من قبل المسجل ووالدتك

شارلوت مرتجفة — هل حصل شيء لوالدتي

البواب — لا ياسيدة . . . لا . . . بل المسالة بالعكس . . . ولكن

كيف اخبرك آه ياربي . . . ان هذا الشاب اوصاني بالاسراع في اخبارك لانهُ قال . . . الفرح . . . والدهشة . . . وال . . . وال . . . اخبرا ياسيدتي

شارلوت — بالله عليك يكفي ثرثرة . . . قل لي ما الخبر

البواب — ان اباك حي وقد بعث الكاتب لياخذك عنده

فصرخت شارلوت بخوف وفرح آه ياربي ثم لبست ثيابها حالاً واخذت بيد البواب وقالت لهُ تعال معي . . .

ولم تفتكر شارلوت بهذا الامر لان الفرح يعمي القلوب بل نزلت الى الباب فرات الشاب الذي ادعى انهُ كاتب (وما هو الا فريدبريك الشقي) وكان قائد العربة جالساً في محلهِ (وهو ماكس ربويل او جوستين الخبيث)

فسلم عليها الشاب وقال لها اني سعيد ياسيدتي لكوني اول من يبشرك بهذه السعادة وبهنئك بها

ثم قدم لها يدهُ ليدخلها في العربة ولكن جاك ديديه لم يكن ليكتفي بمشاهدة شارلوت ساعة او ساعتين بل كان يسهر عليها في الليل ويراقب بيتها فاتفق وصولهُ حين عزمت شارلوت على النزول فصرخت شارلوت قائلة آه ياعزيزي جاك فانك وصلت في وقتك لتقتسم معنا السعادة

فنظر جاك الى فريدبريك بعين الشك والريب وكان الشاب (اللعين) قد لحظ ذلك فقال لشارلوت هيا بنا ياسيدتي ثم جذبها الى العربة

فقالت لهُ الحق معك ثم التفتت الى جاك وقالت تعال ياجاك في المساء . . . لان ابي حي وانا اروم ان اشاهده حالاً ولكن جاك هجم كالباشق وحال دون شارلوت والعربة وصرخ بالفتى قائلاً

من انت ايها المغرور بنفسهِ وابن تذهب بالسيدة

فاجابهُ الفتى اسال السيدة وهي تجيبك

قالت شارلوت — جاك جاك . . . ماذا تصنع هذا كاتب عند صاحبنا بريسون اني لاحضاري وقد قلت لك ان ابي حي وهو في انتظاري

قال جاك للفتى — لاشك أن عندك كتاباً من كونمتانس او تحريراً من بربسون

قال الفتى أما عندي كتاب ولكن الموسيو بريسون اعطاني تذكرة زيارة

قالت شارلوت — نعم نعم

قال الجاك — لاتعجلي ياشارلوت اذا كان روبرت بك حيًا وذلك بعيد عن التصديق فانا الذي اخذك الى سكة شوازيل

ثم قبض على ذراع شارلوت وكان ماكس ريويل (قائد العربة) يظهر لفريدبريك علامات الغيظ وقطع الامل ولكن فريدبريك اغتاظ جداً وقال لجاك — انك بهذا الشك اغظتني ياموسيو جاك واحتقرتني ولست احتمل اهانتك

قال جاك — اني كما تريد اني لست ذا شك فيك فقط بل انا متاكد انك خائن ماكر

ثم التفت الى شارلوت وقال لها — اصعدي لمنزلك الان هذه مكيدة فانظري العربة من دون نمرة وقائدها شقي دني وقد كنت على حافة الوقوع في الشرك المنصوب فلم يحتمل فريدبريك هذه الاهانة بل دفع يده ليضرب جاك فاسرع جاك بضرب فريدبريك بالعصا على راسه

وكان ماكس ريويل قائد العربة قد تداخل في المعركة واعاد فريدبريك الى العربة بعد ان قال (فريدبريك) لجاك

ساحاسبك عن هذه الضربة في غابة فنسان في باب مونتريل

جاك — حسنًا سالقيك الى المحل الموعود بعد نصف ساعة — وكانت شارلوت ترتجف من الخوف فقال جاك للبواب اذهب بالسيدة الى منزلها واحترس عليها

قالت شارلوت — جاك جاك وحياتي عندك لاتقاتل هذا اللص

قال جاك لاتخافي عليَّ فساعدم عدوك في دون الساعة

ثم ذهب جاك الى بيتهِ فاخذ الاسلحة وشاهدين وسار الى ميدان القتال

القسم الثاني

الفصل العاشر

وفيهِ الخاتمة

ولما وصل روبرت بك الى المنزل علم الامر من البواب فانعم بالاً على ابنتهِ وعزم على تسليم سسيل وفريدبريك وماكس الى الحكومة لتعدمهم جميعاً

ثم كتب ورقة وقال للبواب ارسلها مع امرانك الى الموسيو بريسون وقل لهُ انني ذاهب الى فنسان ثم ركب روبرت بك عربة وشخص الي المحل المعهود

ولما وصل راى جاك مقتتلاً مع فريدبريك بالسيف مرة ثالثة لان المرتين الاوليين لم ينجا شيئًا — وراى ايضًا ماكس ريويل جالسًا على كرسي قيادة عربة منتظرًا ما سيكون فحاول روبرت بك ان يصرخ

قائلاً — يكفي فلا تحارب لصًا ولكنهُ خشي ان يندهش جاك فيخذل ضربهُ بالسيف ويقوي عليهِ عدوه فلبث منتظرًا ما سيكون من امره

وكان جاك قد استظهر على خصمهِ ورجح عليهِ في الميدان فضربهُ ضربة كانت القاضية فخر صريعًا ولما راى ماكس هذه المسالة فر هاربًا بعربتهِ فما انتبه لهُ الشاهدون الا وكان ابعد من السماء عن الارض

وكانت مسيل في انتظار ابنها وماكس لتسافر حالاً فما وافاها الا ماكس — فسالتهُ قائلة اين ابني — ماكس — سيلحقنا حالاً هيا بنا نسافر وكان صوت ماكس مرتجفًا فاعترى سسيل الشك وسالتهُ هل قبضت الشرطة على ابني

اجابها ماكس . كلا

قالت سسيل — اخيٌ ابني ام قد مات وكان ماكس يفتش القاعة بنظره

فراى الكيس الموضوعة به المجوهرات واوراق البنوكة التي اخذتها سسيل من روبرت بك فاخذه ماكس وقال لها نعم مات مقتولاً بيد عاشق شارلوت وخطيبها

فهاجت محبة سسيل الوالدية وهجمت عليه لتخنقه وقالت له باشقي انت قاتل ابني فتخلص ماكس منها ثم طعنها في خنجر في صدرها فخرت صريعة لحينها وهرب ماكس الى الباب وما نزل في السلم الا وقابله ثلاثة رجال من الشرطة فقال له احدهم اني اقبض عليك باسم الشريعة والقانون فهرب ماكس وقفل الباب عليه ووضع وراءه الكراسي والاواني فحاول الخروج من بيت قريب ولكن الشرطة كانوا محاطين البيت فطاردوا الاميركاني وكان يجرى امامهم من قاعة الى قاعة حتى حصروه في قاعة فلم يبقَ له مهرب فاطلق على نفسه الرصاص ومات قتيلاً !

ولما مات هولاء الثلاثة الاشقياء بطلت الدعوى ولم يعلم اهالي باريس بهذا الخبر الا بعنوان حوادث شتى وكانت الاسماء ملغزة غير ظاهرة

ثم بعد ذلك بثلاثة اشهر كلل روبرت بك على كونستانس وبول على لويز وجاك على شارلوت ودومينيك على سوسن وقامت ليالي الافراح ووفى روبرت بك بوعده اذاغنى السائلين عن السوال ومد اليد وسبحان من يدبر الكون فهو على كل شيء قدير